أثر القرآن الكريم في شعر صدر الإسلام "شعر حسان بن ثابت نموذجًا"

د. سليمان محمد سليمان(*)

توطئة:

القـرآن الكريم هو كلام الله الذى " لا يَأتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ"(١).

فقـد كان فضل القرآن على لغتنا الغربية عظيماً وأثره واضحاً جلياً فحفظها من الفناء وكتب لها البقاء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. قال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (٢)

وقـد أمـد القـرآن لغتنا العربية بفيض عظيم من الألفاظ والصيغ والتراكيب والعبارات والأساليب والصور التى لم تكن تعرفها من قبل. أو تلك التـى كانـت موجودة فى اللغة ثم تطورت دلالاتها بفضل القرآن الكريم. فلا غـرو إذن أن يدفـع الإعجاب والإعجاز الذان حملهما القرآن الكثير من أهل اللغـة إلـى أن يقتبسوا من نور هذا الذكر الحكيم وقد تأثر الأدباء والخطباء والـشعراء بمـا فـيه مـن جـزالة اللفظ، وبديع النظم والإيجاز والإطناب. فاسـتنبطوا مـنه دقة المعنى وروعة البيان وجزالة الأسلوب وسمو الأفكار ووضوح المعانى.

فجـاء بناؤهم اللغوى قوياً وجاءت صورهم الشعرية صادقة التعبير "وإذا كـان العـرب أوجدوا اللغة مفردات فانية، فإن القرآن أوجدها تراكيب خالدة، وإن لهذه اللغة معاجم كثيرة تجمع مفرداتها وأبنيتها، ولكن ليس لها معجـم تركيبى غير القرآن"(٣) . ومنذ أن نزل القرآن ، والأدب العربى بدأت تظهـر علـيه قبـسات من روحه حيث تأثر الناس وخاصة الشعراء بالدين الجديـد ... لهذا لم يكن عجيباً أن يضعوا نصب أعينهم دائماً أبلغ كتاب فيهم

(*) أستاذ الأدب والنقد المساعد – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(١) سورة فصلت : آية رقم ٤٢ .

(٢) سورة الحجر : آية رقم٩ .

(٣) إعجاز القرآن ، للأستاذ مصطفى صادق الرافعى، ص ٢٦٨.

يستشفون منه، ثم لم يلبث أن يتضح تأثيره على أقوالهم بعد أن تمكن من وجداناتهم ومشاعرهم." [١].

وما تلك النماذج المتأثرة بالقرآن الكريم منذ نزوله على النبى – صلى الله عليه وسلم – إلى يومنا هذا إلا دليل على ذلك. " فقد أثر هذا الكتاب العظيم آثاراً بعيدة فى اللغة العربية فحول أدبها من قصائد فى الغزل والحماسة والأخذ بالثأر ... ومن حكم متناثرة لا ضابط لها ولا نظام إلى أدب عالمى يخوض فى مشاكل الحياة والجماعة، وينظم أمورها الدينية والدنيوية ، فارتقى الأدب العربى رقياً لم يكن به علم للعرب"[٢]. ومن ثم كان اختيارى لهذا الموضوع وعنوانه:

" أثر القرآن الكريم فى شعر صدر الإسلام"

" شعر حسان بن ثابت نموذجاً.

وقد رأيت أن أمثل طريقة لتناول مثل هذا الموضوع يمكن أن تكون من خلال النقاط الآتية:

أولاً : أثر القرآن الكريم فى اللغة والأدب وموقفه من الشعر والشعراء.

ثانياً : منزلة حسان بين معاصريه وسبب اختياره نموذجاً.

ثالثاً : أثر القرآن الكريم فى شعره:

١ – مظاهر القرآن الكريم فى الصورة الشعرية.

٢ – مظاهر القرآن الكريم فى البناء اللغوى.

٣ – مظاهر القرآن الكريم فى البناء الفكرى.

الخاتمة. وتشمل أهم نتائج البحث.

---

[١] فى التحليل اللغوى الأخطاء الشائعة، دكتور/ زين الخويسكى، ص ١٥١: ١٥٢، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية.

[٢] الفن ومذاهبه، دكتور/ شوقى ضيف، ص ٤٦، طبعة دار المعارف، الطبعة الثانية عشر.

أولاً – أثر القرآن الكريم فى اللغة والأدب وموقفه من الشعر والشعراء:

إنه لشرف عظيم للغة العربية وللعرب جميعاً أن ينزل القرآن بلغتهم. قال تعالى : (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[1]. وقال جل شأنه : (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[2]

فكان لنزول القرآن بلغة العرب، فضله العظيم وأثره القويم على لغتهم. " فالقرآن الكريم مفخرة للعرب فى لغتهم إذ لم يتح لأمة من الأمم كتاب مثله لا دينى ولا دنيوى من حيث البلاغة والتأثير فى النفوس والقلوب"[3]

فقد أدخل القرآن الكثير من المعانى والألفاظ إلى اللغة العربية فكان دخولها العربية فتحاً جديداً ونصراً مبيناً وعاملاً من عوامل اتساعها وانتشارها حيث إنه: " حول العربية إلى لغة ذات دين سماوى باهر وبذلك أحل فيها معانى لم تكن تعرفها من قبله ولا كانت تعرف العبارة عنها وعادة يقف مؤرخو الأدب عند ألفاظ ابتدأها ابتداء مثل الفرقان، والكفر والإيمان والإشراك والإسلام ... وغير ذلك من كلمات الدين الحنيف."[4]

وسرعان ما تعامل الشعراء مع هذه الألفاظ الجديدة وضمنوها أشعارهم لتكون هذه الأشعار وسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية ، فهى اللغة التى يفهمها جُل العرب، ويؤثرونها لما لها من أثر عظيم فى نفوسهم وعقولهم.

ومما يؤيد ذلك ما كان من وفد بنى تميم الذى ضم الكثير من الخطباء والشعراء من مثل عطارد بن حاجب بن زرارة وقيس بن عاصم والأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر ... وغيرهم. وهم من هم فى الفصاحة والبلاغة. فقام إليهم خطباء النبى – صلى الله عليه وسلم – وكان فيهم ثابت

---

(1) سورة فصلت : آية رقم ٣.
(2) سورة الزخرف : آية رقم ٣.
(3) تاريخ الأدب العربى " العصر الإسلامى" ، دكتور/ شوقى ضيف، ص ٣٠ ، دار المعارف، الطبعة الثالثة عشرة.
(4) المرجع السابق، ص ٣٢.

ابـــن قيس الخزرجي. وكان الزبرقان بن بدر من شعراء هذا الوفد، فتصدى لـــه حسان بن ثابت فلما فرغ حسان من قوله قال الأقرع بن حابس وأبى إن هـــذا الـــرجل لمؤتـــى لـــه. لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شـــاعرنا ، ولأصـــواتهم أعلى من أصواتنا. فلما فرغ القوم أسلموا وجوزهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فأحسن جوائزهم".[١]

وشـــعراء صـــدر الإسلام لهم فضل السبق فى التأثر بالقرآن الكريم وذلك لأنهم عاشوا فى ظل القرآن يستمدون منه كثيراً من صورهم وألفاظهم وأفكارهم فتفتحت قرائحهم وتبصرت عقولهم على أسلوب من النثر الفنى لم يعهدوه من قبل. وهذا الأسلوب البالغ الروعة الذى ليس له سابقة ولا لاحقة فى العربية هو الذى أقام عمود الأدب العربى منذ ظهوره[٢]. ولذلك نجدهم " يستحـــسنون أن يكـــون فى الخطب يوم الحفل وفى الكلام يوم الجمع آى من القـــرآن فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار"[٣]. ولذلك كان من البديهى أن يـــستكين العـــرب حين سماعهم آية من القرآن الكريم فتصفوا وجوههم لربهم ويقفوا مبهورين أمام روعة القرآن وبلاغته. فيقتبسوا كثيراً من آياته ويـــضمنوها أشـــعارهم دون تغيير أو تبديل، وأحياناً تدفعهم ضرورة تركيب الجمـــل أو اتساق الوزن وانسجام القافية إلى إدخال بعض التحوير والتغيير فـــيما اقتبـــسوه من آيات القرآن الكريم ، وقد انعكس ذلك على لغة شعرهم فـــصبغت بصبغة قرآنية واضحة فأثر هذا الكتاب العظيم آثاراً كثيرة فى اللغة العربية فحول أدبها مما كان عليه فى الجاهلية إلى ما صار إليه فى الإسلام. لأن الـــشعر فى أى أمة من الأمم يظل خاضعاً لتطور حياتها فى جميع أنواع الحـــياة، لأنهـــا هى التى تحدد مجراه ومساره واتجاهاته وهى التى تفرض علـــيه مـــا تشاء من التغيرات فينتقل من طور إلى طور وتتبدل موضوعاته وصـــوره وألفاظـــه وأساليبه وتتغير فيه معان جديدة لم تكن موجودة وتغلب

---

(١) راجـــع شرح ديوان حسان بن ثابت ، عبد الرحمن البرقوقى ، ص ٢٩٩: ٣٠٨. دار الأندلس للطباعة والنشر– بيروت، ١٩٨٠.

(٢) تاريخ الأدب العربى " العصر الإسلامى" دكتور/ شوقى ضيف ص ٣٤.

(٣) البـــيان والتبيين ، تأليف أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ جـــ١/١١٨ تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

علـيه صياغة لم تكن مألوفة[1]. ولذلك يمكننا أن نقول بأن : القرآن الكريم هـو الأصـل الأول فى التأثير على أساليب اللغة وعباراتها حيث يُعد تأثيره امتداداً لإعجازه فى الجانب الإيمانى.

ومن الحق والإنصاف أن نرجع الكثير مما اكتسبته لغتنا العربية فى شتى العلوم والمعارف الإنسانية لأثر القرآن الكريم. قال تعالى :

(اللَّـهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّـهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)[2]

والشعراء المسلمون الذين عاشوا الدعوة الإسلامية وعاصروها فى عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – نلاحظ عليهم تغير ألفاظهم ومعانيهم الشعرية وتطور معجمهم الشعرى واللغوى إلى طور جديد لم يألفوه من قبل فأقـبلوا على استخدام ألفاظ ذات دلالات جديدة لم تكن موجودة ولا متداولة فـى العـصر الجاهلـى. فهناك الكثير من الألفاظ التى لم يكن لهم عهد بها كالصلاة والإيمان والشرك والإسلام والجنة والنار.. وغيرها.

وكـذلك هناك الكثير من الألفاظ التى لوحظ تطور دلالاتها فانتقل كل منها من دلالته الأولى التى كان عليها إلى دلالة أخرى جديدة.

ومـن هـذه الألفاظ لفظ الجلالة " الله " فقد ورد فى الشعر الجاهلى وذلـك لأنهـم كانـوا يعرفون المصطلح كما يعرفه أصحاب ديانات التوحيد. ولكـنهم يخـتلفون عـنهم فى إدراك ماهيته. وعادة الشعراء الجاهليين أن يذكروا أحد اللفظين " الله " – أو " المليك ".

أمـا الشعراء الذين أسلموا فقد فطنوا إلى قيمة هذه الألفاظ فذكروها فى أشعارهم. يقول حسان بن ثابت :

---

(1) اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى ، الدكتور/ محمد مصطفى هدارة، ص ٢٣. طبعة دار المعارف، سنة ١٩٦٣م.

(2) سورة الزمر: آية رقم ٢٣.

فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا ∴ ولا تلبسوا زياً كزى الأعاجم[١]

فالشاعر هنا يدعو قومه إلى الإسلام وأن يخلصوا التوحيد لله ولا يشركوا به أحداً ولا يتخذوا من دونه أنداداً ودلالة هذه الألفاظ وإيماءاتها مأخوذة من قوله تعالى :

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[٢]

ويقول حمزة بن عبد المطلب :

حمدت الله حين هدى فؤادى ∴ إلى الإسلام والدين الحنيف[٣]

فسيدنا حمزة سيد الشهداء – رضى الله عنه – يثنى على الله سبحانه وتعالى حين هدى قلبه إلى الإسلام والدين الحنيف. وقد استمد الشاعر معانى هذا البيت من قوله تعالى :

(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّه)[٤]

ويقول النابغة الجعدى :

الحمد لله لا شريك له ∴ من لم يقلها فنفسه ظلما[١]

فالنابغة الجعدى يحمد الله سبحانه وتعالى ويثنى عليه، فهو وحده الذى يستحق الحمد والثناء. فلا معبود بحق سواه ولا رب غيره. فالعبد الذى لا يثنى على الله بما هو أهله فقد ظلم نفسه.

والشاعر هنا يستمد ألفاظه ومعانيه من قوله تعالى:

---

[١] شرح ديوان حسان بن ثابت لعبد الرحمن البرقوقى ص ٤٤٠.
[٢] سورة البقرة: آية رقم ٢٢.
[٣] الروض الآنف فى تفسير السيرة لابن هشام جـ٣/١٥١ مكتبة الكليات الأزهرية، سنة ١٩٧١م.
[٤] سورة الأعراف: آية رقم ٤٣.
[١] شعر النابغة الجعدى، ص ١٣٢.

(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً) [1]

وقد استخدم النابغة الجعدى هذه اللفظة " الله " فجعلها خاصة فى ذات الله سبحانه وتعالى ، وبهذا يتغير مدلولها عما كانت سائدة عليه فى الجاهلية.

ومن الموضوعات التى نلمسها أيضاً فى لغة الشعراء وأساليبهم؛ تداولهم للتعبيرات الإسلامية التى إن دلت على شيء فإنما تدل على ما انطوت عليه نفوسهم من حب عميق لروح الجماعة الإسلامية التى ينتمون إليها. فالشاعر تتحد مشاعره بمشاعرها ، فهو المتحدث باسمها والمعبر عن رأيها.

ونلاحظ أن الصورة الفنية فى أشعارهم وحدة واحدة، وهى ما أطلق عليه النقاد وحدة القصيدة. هذه الوحدة تربطها وحدة أعمق منها وهى وحدة العقيدة والدين، " فالتعبير اللغوى من الممكن أن يكشف سلوك الفرد تجاه الجماعة، فالإنسان عندما يتحدث عن اتجاهه نحو الهدف المشترك أو العقيدة المشتركة لا يقول " أنا " ولكن يقول " نحن " . وهذا الضمير يكشف عن حقيقة دينامية ليست مجرد أنوات مستقلة ولكنها كل واحد"[2].

يقول حسان بن ثابت :

دعوا فلجات الشام قد حال دونها ∴ جلاد كأفواه المخاض الأوارك
بأيدى رجال هاجروا نحو ربهم ∴ وأنصاره حقاً وأيدى الملائك[3]

فعندما ننظر إلى هذين البيتين يتضح لنا أن حسان بن ثابت قد استخدم صيغاً تدل على روح الجماعة الإسلامية.

فالهجر ضد الوصل. والاسم منه الهجرة، ويقصد به الخروج من

---

[1] سورة الإسراء : آية رقم ١١١.

[2] الأسس النفسية للإبداع الفني فى الشعر خاصة للدكتور/ مصطفى سويف، ص ١٢٣. طبعة دار المعارف. الطبعة الرابعة سنة ١٩٨١م.

[3] شرح ديوان حسان بن ثابت لعبد الرحمن البرقوقى ، ص ٣٥٠ : ٣٥١.

أرض إلـــى أرض، والمهاجرون الذين هاجروا مع الرسول – صلى الله عليه وســـلم – مشتق منه. وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوى من باديته إلى المدن. يقال هاجر الرجل إذا فعل ذلك. وكذلك كل مخل بمسكنه منتقل إلى قـــوم آخرين بسكناه، فقد هاجر قومه. ويسمى المهاجرون، مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التى نشأوا بها لله سبحانه وتعالى.

والهجـــرة كما قال ابن الأثير: هجرتان، إحداها التى وعد الله عليها الجنة فى قوله تعالى :

(إِنَّ اللَّـــهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُـــونَ فِـــي سَـــبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي الـــتَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [١]

وكان الرجل يأتى النبى – صلى الله عليه وسلم – ويدع أهله وماله. ولا يرجع فى شىء منه وينقطع بنفسه إلى مهاجره.

والهجـــرة الثانية – من هاجر من الأعراب وغزا مع المسلمين ولم يفعـــل كما فعل أصحاب الهجرة الأولى، فهو مهاجر. وليس بداخل فى فضل من هاجر تلك الهجرة[٢].

يقول عاصم بن عمرو التميمى:

لعمرى وما عمرى على بهين ∴ لقد صبحت بالخزى أهل النمارق
بأيدى رجال هاجروا نحو ربهم ∴ يجوسونهم ما بين درنا وبارق[٣]

فعـــندما ننظر إلى البيتين السابقين ، يتضح لنا أمر هذا التغيير الذى اكتـــسبه الشعراء من الحياة الإسلامية الجديدة. فبعد أن كان لفظ الهجرة قبل الإســـلام يقـــصد به انتقال البدوى من مكان إلى مكان حسب ما تمليه عليه

---

[١] سورة التوبة: آية رقم ١١١.

[٢] لسان العرب لابن منظور، مادة "هجر" ، دار المعارف.

[٣] تـــاريخ الطبـــرى تحقـــيق محمد أبو الفضل إبراهيم جـــ٣/٤٥٠ ، طبعة دار المعارف بمصر، معجم البلدان لياقوت جـــ٥/١٢٩ ، طبعة دار صادر بيروت.

طبيعة الحياة الجاهلية، ابتغاء الكلأ والعشب أصبح يعنى الهجرة فى سبيل طاعة الله ورسوله. وهذا التطور الدلالى للفظ الهجرة إنما تغير بفضل الإسلام وتمسك الناس بالقرآن الكريم.

ونود أن نختم حديثنا عن أثر القرآن الكريم فى اللغة ببيان أن ذلك النص الأدبى الرفيع والنمط الفريد الذى ليس هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إنما هو كلام رب العالمين. قد جاءت آياته على نسق خاص من التصوير الأدبى فلم تخرج آياته فى تصويرها وتعبيرها وبنائها اللغوى عن حروف المعجم العربى ، ولكنها خرجت بهذا التصوير والبناء اللغوى الدقيق عن مقدور البشر على الرغم من أنها اتخذت أدواتها الأولى من نفس المادة التى اتخذت منها العربية طرائق تعبيرها. فالفرق شاسع بين تصوير يصدر عن نفس بشرية يعتريها القصور والنقصان فتعجز عن بلوغ الكمال وبين تصوير صادق معبر صادر عن إله حكيم عليم.

ومن ثم كان أثر القرآن الكريم جلياً واضحاً فى لغتنا العربية وفى تطور دلالة ألفاظها وفى إضافة الكثير إليها من المعانى والأفكار التى لا عهد للغة بها. ولذلك وضع الشعراء فى صدر الإسلام الصورة الأدبية القرآنية نصب أعينهم فجعلوا من القرآن معينهم الفياض الذى لا ينضب ولا يجف، محاولين محاكاته فى أسلوبه وبيانه والأخذ من ألفاظه وعباراته وصيغه وتضمينها أشعارهم ووسائل بيانهم ، وقد بدأ ذلك واضحاً فى كل ما صدر عنهم.

ونستطيع أن نقول: إن هناك علاقة قوية بين النص الأدبى وبين القرآن الكريم وهى تلك العلاقة التى بين القرآن واللغة العربية. فمما لا شك فيه أن النص الأدبى فى اللغة العربية ، قد كتب له البقاء والاستمرار، وذلك لارتباطه الوثيق بأول كتاب دون تاريخ العرب، وشكل المظهر الأساسى للحياة العربية فى شتى نواحيها العقلية والفكرية .... وغيرها. وذلك الكتاب العظيم هو القرآن الكريم، فقد جمع القرآن شتات اللهجات العربية التى كانت منتشرة فى الجاهلية ووحدها فى لغة واحدة قرشية الأصول قرآنية الانتماء والاستمرار.

ولولا حفظ الله سبحانه وتعالى للقرآن الكريم وجهود المخلصين من العلمـــاء المـــسلمين فى سبيل تأكيد هذه العناية والحفظ لاندثر النص الأدبى القـــديم ضـــمن اندثار اللغة العربية نفسها على نحو ما فعلته الأيام والسنون بشقيقاتها من اللغات الأخرى.

فالقرآن هو الذى أثرى معجم اللغة العربية، التى هى وسيلة التعبير الأدبـــى بالألفاظ الإسلامية المهذبة من حوشى الكلام وفاحشه ، وكذلك أذاع أساليب البيان والبلاغة ونأى بها عن كل عوج وانحلال.

ومـــن ثم كان انتشار النص الأدبى جنباً إلى جنب مع انتشار القرآن الكريم " الذى هو أعظم نص أدبى عرفته البشرية " حيث حط الإسلام رحاله ونـــشر نـــوره ورمى لدولته أطرافاً بعيدة عن جزيرة العرب التى هى موطن النص الأدبى ومبعثه الأول فكان انتشاره بانتشار الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها.

ودخـــل الـــناس فى دين الله أفواجاً ، وكان معظم الداخلين الجدد فى الإسلام من غير القبائل العربية ولكنهم ارتبطوا بلغة القرآن وجعلوها مقياس الفـــصاحة والبـــيان ، ومـــن ثـــم تخطوا بذلك القرشيين وغيرهم من القبائل العـــربية. ومما يؤيد ذلك ما دار بين أهل مكة ومحمد بن المناذر الشاعر فقد قـــال أهـــل مكـــة لمحمد بن المناذر : " ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة، إنما الفصاحة لنا أهل مكة.

فقـــال ابـــن المـــناذر : أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن وأكثرها له مـــوافقة. فـــضعوا القـــرآن بعـــد هـــذا حيث شئتم. أنت تسمون القدر بُرْمة وتجمعـــون البرمة على برام، ونحن نقول قدر ونجمعها على قدور. وقال الله عـــز وجـــل : وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ " . وأنتم تسمون البيت فوق البـــيت عُلِّيَّة وتجمعون هذا الاسم على علالىّ. ونحن نسميه غرفة ونجمعها علـــى غُـــرفات وغرف. وقال الله تبارك وتعالى : " غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ

مَّبْنِيَّة. وقال أيضاً : وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ"[1].

وقد بلغ من فتنة العرب وإعجابهم بالقرآن الكريم أنهم استلهموا معانيه وأساليبه وصوره فى سائر أعمالهم الأدبية – الشعرية منها والنثرية على حد سواء.

وإذا تتبعنا شعر أى شاعر من شعراء الإسلام لوجدنا تكاثر الآثار القرآنية بصورة كبيرة فى أشعارهم. وقد بلغ من فتنة العرب بأسلوب القرآن الكريم أنهم صاروا ينقدون أى خطيب لا يضمن خطبته شيئاً من القرآن ويعتبرون ذلك عدم توفيق إلى طريق الكمال فى الأداء البيانى، يدلنا على ذلك ما يراه الجاحظ من أن اشتمال الخطبة على آى القرآن يضمن لها البهاء والوقار والرقة وسلس الموقع.

ويحكى فى كتابه " البيان والتبيين " قصة انتقاد عمران بن حطان ، لعدم اشتمال خطبته عند ابن زياد على شىء من القرآن يضىء مقاطعها ويدفع بها إلى ميدان البيان .

" قال الهيثم بن عدى : قال عمران بن حطان ... (إن أول خطبة خطبتها عند زياد أو عند ابن زياد – فأعجب بها الناس، وشهدها عمىّ وأبىّ ثم إنى مررت ببعض المجالس، فسمعت رجلاً يقول لبعضهم : هذا الفتى أخطب العرب لو كان فى خطبته شىء من القرآن "[2].

وهنا يحاول الجاحظ أن ينسب الرأى القائل باشتمال الخطبة على القرآن الكريم إلى خطباء السلف وأهل البيان من التابعين ، فهم الذين يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الحفل وفى الكلام يوم الجمع آى من القرآن ، وكذلك هم الذين يطلقون على الخطبة التى لم توشح بالقرآن بأنها خطبة شوهاء.

ولا شك أن هذا الموقف الذى يمثل رأيا عاماً فى ذلك الوقت يشير

---

[1] البيان والتبيين للجاحظ جـ١/١٨ :١٩، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
[2] البيان والتبيين للجاحظ، جـ١/ ١١٨.

إلى مدى التقدير والإعجاب الذى لقيه النص القرآنى حينئذ.

ويدلنا كذلك على أن الأمر لم يَعد فى نطاق ضيق وإنما خرج من دائرة المبدعين للنصوص الأدبية ، وتعداهم إلى دائرة المتذوقين لتلك النصوص.

وإذا امتد بنا القول لعصرنا الحالى فراجعنا شعر هذا العصر وخطبه ورسائله لن نجد نصاً أدبياً انفلت من سيطرة لغة القرآن الكريم بأساليبها البيانية الرائعة ومضامينها المعنوية القوية سواء كان ما لحق النص الأدبى من تأثير مباشر أو غير مباشر. ولعل هذا هو السر الذى نحس بسببه فرقاً واضحاً بين نص جاهلى وآخر إسلامى.

فالإسلام ودستوره القرآن الكريم هو الذى تمخض عن منهج سياسى وأدبى واجتماعى. نقل العرب نقلة كبيرة من الفردية والقبلية إلى الأمة والشورى والكفاءة والعدالة التى لا مثيل لها من قبل، ومن ثم كان للأمة العربية ذلك المنهج الفنى الأدبى الذى نقل الأدب العربى من التفكك فى الأسلوب وغليظ اللفظ وحوشى الكلم إلى الأسلوب التصويرى المسترسل ، وإلى لغة القرآن صاحبة الافتنان البيانى الذى لم يكن للعربية عهد به من قبل.

ومن ثم تتضح لنا تلك العلاقة الوثيقة بين القرآن الكريم والنص الأدبى الذى تأثر تأثراً كبيراً بمنهج القرآن وذلك نتيجة حتمية لحفظ المسلمين للقرآن وتمثلهم له ألفاظاً ومضامين والتماسهم الهداية فى الاقتداء به هداية غير محصورة أو مقصورة على ميدان التشريع والتوجيه الدينى فقط، وإنما كانت هداية فى شتى المجالات ومنها طريقة تأليف النثر الفنى وإبداع النص الشعرى.

وأما عن موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء فقد كانت نظرته نظرة عظيمة قيمة تدل دلالة قاطعة على أن القرآن كلام الله الذى نزل به الروح الأمين جبريل على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – ليكون

للعالمين بشيراً نذيراً.

فالله سبحانه وتعالى أدرى بخلقه وبطبائعهم وبما يدور فى نفوسهم وعقــولهم. فالشعر هو فنهم الأول ولذلك كان للكلمة عندهم قيمتها وأهميتها وتأثيرها العظيم فى نفوسهم.

ومــن ثــم كانت نظرة القرآن الكريم للشعر – فهو يريد أن يوضح للعــرب أمرين فى غاية الأهمية وهما نفى الشاعرية عن الرسول– صلى الله عليه وسلم– ونفى كون القرآن الكريم شعراً. وذلك لحكمة عظيمة يعلمها الله ســبحانه وتعالــى. فنفــى شاعرية الرسول حتى لا يختلط الأمر على العرب فــيدعون أن هذا القرآن هو من كلام محمد وأنه شعر كالذى يقوله شعراؤهم أو ســجع كالــذى يقوله كهانهم. ومن ثم تكون شاعرية الرسول، سنداً قوياً لاتهامهم واعتراضهم.

فكــون النبى ليس بشاعر يؤيد رسالته ويرد كيد العرب إلى نحورهم فى هذا الادعاء الذى وجهه الكثير منهم للقرآن بأنه شعر وللنبى بأنه شاعر. وهذا أحد زعمائهم وصناديد كفرهم يشهد للقرآن بأنه ليس شعراً ولا كهانة، كمــا ادعى بعض العرب ، على الرغم من عدائه الشديد للإسلام وعدم إيمانه بالله ورسوله.

فقــد روى الــرواة عــن الوليد بن المغيرة الذى كان من ألد أعداء الإســلام وخــصومه، أنه عندما سمع بعض آيات القرآن توجه إلى نفر من قــريش يقول لهم: " والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا مــن كلام الجن، وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وأن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يُعلى عليه".

ويعلق الدكتور/ شوقى ضيف على ذلك بقوله :

" وواضــح أنه أحس أن آى القرآن تباين كلام الإنس من فصحائهم كما تباين كلام الجن الذى كان ينطق به كهانهم إنه ليس شعراً موزوناً، مما كــان يــدور على ألسنة شعرائهم ولا سجعاً مقفى مما كان يدور على ألسنة

كهـانهم وغيـرهم مـن خطبائهم، إنما هو نمط وحده فصلت آياته بفواصل تطمـئن عـندها الـنفس، وتجد فيها وفى كل ما يتصل بها من ألفاظ روحاً وعذوبة، وإنه نمط باهر، بل نمط معجز ببيانه وبلاغته.[١]

ولكـى يتـضح لنا الأمر ننظر نظرة سريعة فى القرآن الكريم لنتبين تلك القضية ونتعرف على معالمها الرئيسة.

فـإذا نظرنا إلى ما جاء من ذكر للشعر والشعراء فى القرآن نجد أن الله سـبحانه وتعالى ينزه رسوله عن قول الشعر والخوض فيه ويرفعه عن أن يكون شاعراً وبذلك يرد على من يزعم من المشركين أن القرآن شعر أو ضرب من الشعر وإنه من قول محمد – صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى : (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ)[٢]

وقال جل شأنه : (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ*وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ)[٣]

وقال أيضاً : (قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ)[٤]

وهـذه الآيات الكريمة تنفى فى مجملها صفة الشاعرية عن الرسول – صلى الله عليه وسلم– وكذلك تنفى أيضاً كون القرآن الكريم شعراً؛ بل هو ذكـر وقرآن مبين. ولا ينبغى لمن نزل القرآن على قلبه ليبلغه للإنس والجن وينذر به العالمين أن يكون شاعراً.

وقـد ذكر السيوطى تعليلاً وجيهاً فى بيان سبب تنزيه الرسول عن قول الشعر حيث قال:

" إن علمـاء العـروض مجمعـون علـى أنه لا فرق بين صناعة العـروض وصـناعة الإيقـاع إلا أن صـناعة الإيقاع تقسيم الزمان بالنغم،

---

[١] تاريخ الأدب العربى " العصر الإسلامى " دكتور / شوقى ضيف ص ٣٠ .
[٢] سورة يس : آية رقم ٦٩.
[٣] سورة الحاقة : آية رقم ٤١: ٤٢.
[٤] سورة الأنبياء : آية رقم ٥.

وصـــناعة العروض تقسيم الزمان بالحروف المسموعة. فلما كان الشعر ذا ميزان يناسب الإيقاع، والإيقاع ضرب من الملاهى، لم يصلح ذلك لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " ما أنا من دد ولا دد منى"[1]

وكذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى قد وصف بعض الشعراء بالطيش وعـــدم الاتـــزان، وأنهم يقولون مالا يفعلون، ومن ثم فلا يجدر ولا يليق أن يكـــون رســـول الله شاعراً. وتلك خاصة بالرسول – صلى الله عليه وسلم – فهو منزه عما يتصف به الكثير من الخلق ومعصوم من قبل الله تعالى.

يقول عز وجل : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى)[2]

والنبـــى صـــلى الله علـــيه وسلم : لم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة وشيد بالتأيـــيد، ويـــسر بالتوفـــيق، وهو الكلام الذى ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول"[3].

وقـــد تناول الشيخ عبد القاهر الجرجانى فى كتابه " دلائل الإعجاز" بيان كيفية اختلاف القرآن الكريم من حيث هو نص عن الشعر.[4]

وقد كان بعض الشعراء فى العصر الجاهلى معروفين بالغلو والكذب ومجـــاوزة الحـــق والصدق فى هجائهم ومديحهم لأنهم كانوا يتكسبون منه. وهذه صفات أراد الله سبحانه وتعالى أن يبعد رسوله – صلى الله عليه وسلم – عنها ويبرأه منها.

قال تعالى :

(وَالـــشُّعَرَاءُ يَتَّـــبِعُهُمُ الْغَـــاوُونَ*أَلَـــمْ تَـــرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِـــيمُونَ* وَأَنَّهُـــمْ يَقُولُـــونَ مَا لا يَفْعَلُونَ*إِلا الَّذِينَ آمَنُوا

---

[1] المزهر فى علوم اللغة للسيوطى، جـ٢/٢٩١، طبعة السعادة ١٣٢٥هـ.
[2] سورة النجم. آية رقم ٣، ٤.
[3] البيان والتبيين للجاحظ. جـ٢/١٧ تحقيق عبد السلام هارون.
[4] دلائـــل الإعجـــاز تأليف عبد القاهر الجرجانى، ص١١: ٤٢ قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، الناشر: مكتبة الخانجى ، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)[١]

وقبل الوقوف أمام بيان تفسير الآيات السابقة نتساءل لعله يكون فى الإجابة عن هذا التساؤل ما يوضح الصورة ويبين المطلوب.

ألـيس فى وجود سورة فى القرآن الكريم تحمل اسم الشعراء دليل قـوى علـى أهمـية هـذه الفـئة من الناس ومكانتها. ودورها المؤثر فى المجتمع. وأهمية ما يقولون وأثره الفعال فى مجتمعاتهم؟

ألـم يقل الرسول – صلى الله عليه وسلم – واصفاً أثر شعر حسان ابن ثابت فى مشركى قريش " بأنه أشد عليهم من وقع النبال".؟. ألم يدع له بقوله : "أهجهم وروح القدس معك"[٢].

ألم يقل – صلى الله عليه وسلم –: إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحـق مـنه فهـو حسن، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه.. ؟ ألم يقل أيضاً: "إنما الشعر كلام : فمن الكلام خبيث وطيب"[٣] ؟

أليـست هـذه هى نظرة الإسلام للشعر والشعراء؟ والتى مفادها أن الـشعر فـن كغيـره من فنون القول. وأن الشعراء مثل غيرهم كباقى أفراد المجتمع يحاسبون إذا ما اخطأوا ويجازون إذا ما أحسنوا.

ومن خلال هذه التساؤلات تأتى نظرتنا للآيات السابقة، فعندما ننظر إليها نجد أن هناك فريقين من الشعراء وهما:

الفـريق الأول : وهـم الـضالون المضلون ، وهم الذين " فى كل واد يهـيمون"، "ويقولـون مـالا يفعلـون"، "ويتبعهم الغاوون". وهؤلاء هم شعراء

---

[١] سورة الشعراء، آية : ٢٢٤ : ٢٢٧.

[٢] راجع الحديث عن السيدة عائشة رضى الله عنها فى صحيح مسلم جـ٤/١٦٤.

[٣] العمـدة لابـن رشيق القيروانى جـ١/٢٧ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٢م.

المشركين الذين يصدون عن سبيلَ الله ويهجون رسول الله – صلى الله عليه وسلم .

وينطبق ذلك الوصف على كل الشعراء الذين على شاكلتهم فى كل زمان ومكان، فيكون فى شعرهم دعوة لمنكر أو قبيح أو صد عن سبيل الله.

وأما الفريق الثانى من الشعراء : الذين تحدثت عنهم الآيات فهم الشعراء المؤمنون. الذين يجندون شعرهم ويستخدمونه لخدمة الدعوة الإسلامية ونشر الدين وتعاليمه وقيمه.

وهم الذين استثناهم الله عز وجل فى قوله:(إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ).

وينطبق هذا الوصف على كل الشعراء الذين هم على شاكلتهم فى كل زمان ومكان.

وقد جاء فى تفسير الكشاف أن هذه الآية " والشعراء يتبعهم الغاوون .." نزلت فى شعراء المشركين : عبد الله بن الزبعرى ، وهبيرة بن أبى وهب، ونافع بن عبد مناف، وأبىّ بن عزة الجمحى ، وأمية بن أبى الصلت.

قالوا : نحن نقول مثل قول محمد: وكانوا يهجونه ويجتمع إليهم الأعراب ويستمعون إلى أشعارهم وأحاجيهم، ولذلك فهم الغاوون للذين يتبعونهم"[1]

وجاء فى تفسير ابن كثير قال : لما نزلت " وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ" جاء حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهم يبكون. قالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء ، فتلا النبى – صلى الله عليه وسلم – "إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ". وقال: أنتم، "وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً". وقال : أنتم،

(1) الكشاف للزمخشرى جـ٢/٤٤٠.

"وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا" . وقال : أنتم[١] وقد أيد ابن رشيق في كتابه العمدة[٢] ما ذهب إليه كل من الزمخشرى وابن كثير فى تفسيرهما للآية الكريمة من سورة الشعراء.

وبذلك يتضح لنا بجلاء أن المعيب فى الآية الكريمة " والشعراء يتبعهم الغاوون" ليس الشعر لذاته وكذلك أيضاً ليس الشعراء على عمومهم؛ بل هو الشعر الذى يتناول أموراً تتعارض مع ما جاء به القرآن الكريم. وما أمر به الإسلام وكذلك الشعراء الذين يتطرقون فى أشعارهم إلى المعانى والأغراض المنافية لقيم القرآن وتعاليم الإسلام . وهكذا يتضح لنا بجلاء ووضوح موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء.

---

[١] تفسير القرآن العظيم للحافظ بن كثير جـ٣/٣٥٤ الناشر دار المعرفة بيروت – لبنان، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.

[٢] العمدة لابن رشيق القيروانى جـ١/٣١: ٣٢.

ثانياً – منزلة حسان بن ثابت بين معاصريه وسبب اختياره نموذجاً:

لقد وقع اختيارى لحسان بن ثابت نموذجاً لعدة أسباب أذكر منها:

أولاً : إن حسان عاش فترة طويلة من حياته فى الجاهلية وعاش مثلها فى الإسلام.

ثانياً : لقد مثل شعر حسان بن ثابت الحياة الجاهلية أصدق تمثل حيث كان هو لسان قومه "الخزرج" ضد الأوس. ومن ثم تصادم مع شاعرى الأوس وهما: أبو قيس بن الأسلت، وقيس بن الخطيم . وقد قال حسان الشعر الجيد فى أيام الأوس والخزرج المشهورة فى الجاهلية " وكان ظهور الإسلام فاتحة عهد جديد فى حياة حسان، فقد اختاره الرسول عليه السلام ليكون شاعره المفضل، يذود عنه وعن الإسلام بلسانه ويسجل وقائعه مع المشركين. ولعل حسان لم يرد بمخيلته من قبل أنه سيضطلع يوماً بعبء عظيم المنافحة عن رسول الله والإشادة بالرسالة العظيمة التى جاء يحملها إلى العرب والناس جميعاً. ولم يكن يتوقع أن يغدو شاعر الدعوة الإسلامية يملأ صيته أرجاء بلاد العرب بعد أن كان فى الجاهلية شاعر قومه الخزرج وحدهم. [1]

ثالثاً : كان حسان بن ثابت من الشعراء الذين رحلوا إلى ملوك الغساسنة وكانت تربطه علاقة قوية بآل جفنة. ومدائحه تشهد بذلك.

وقيل أيضاً أنه رحل إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة ومدحه ولذلك فهو من الشعراء المشهورين فى الجاهلية. فقد خاض فى شتى موضوعاته من فخر ووصف وهجاء ومديح. وأجاد فيها جميعاً، وهو موضع تقدير للشعراء والنقاد فى عصره والعصور التالية له.

رابعاً : روى ابن سعد أن أول وفد وفد على الرسول من مضر وفد مُزينة سنة خمس وفيهم خزاعى بن عبد نهم . فبايعه على قومه مزينة ثم

---

[1] حسان بن ثابت " حياته وشعره " الدكتور/ إحسان النص ص ٧٣– دار الفكر – دمشق.

جـاء إلـى قومه فلم يستجيبوا له، فطلب الرسول عليه السلام إلى حسان أن يقول أبياتاً يذكر فيها خزاعياً بوعده دون أن يهجوه فقال حسان:

ألا أبلغ خزاعـياً رسولا ∴ بأن الذم يغسله الوفـاء
وأنك خير عثمان بن عمرو ∴ وأسناها إذا ذكر السنـاء

فلمـا بلغت هذه الأبيات خزاعياً قال يخاطب قومه: يا قوم قد خصكم شاعر الرجل فأنشدكم الله: قالوا: فإنا لا ننبو عليك فاسلموا.[1]

خامساً :مـنذ أن أصبح حسان شاعر الرسول وقف شعره على المنافحة عنه ومـصاولة أعدائه وأعداء المسلمين، والرد على أهاجى المشركين وتسجيل ما حدث فى عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من غـزوات ووقائـع، ومفاخـرة شعراء الوفود التى كانت تقدم على الرسول عليه السلام، ورثاء من يستشهد من المسلمين إبان الوقائع فكـان شـعره فى تلك الحقبة سجلاً لجميع الأحداث التى توالت على المسلمين وغلب منذ ذلك الحين الطابع الإسلامى على جل أغراضه. ومن هنا أصبح لحسان منزلة خاصة فى نفوس المسلمين.[2]

سادساً :أبلـى حـسان بلاءً حميداً فى المنافحة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومهاجاة أعدائه حتى كان الناس يستجيرون بالرسول مـن وقـع هجائه ومضاء لسانه من ذاك أن الحارث بن عوف أتى رسـول الله فقـال لـه: ابعث معى من يدعو إلى دينك وأنا له جار. فأرسـل معـه رجـلاً من الأنصار فغدرت بالحارث عشيرته وقتلوا الأنـصارى فـأراد الرسول أن يؤنب الحارث ولم يكن من عادته أن يؤنب أحداً فى وجهه فدعا حسان فأوعز إليه أن يقول شعراً يعرض فيه بالحارث فقال:

---

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد جـ١/٢٩٣ ، حققه جماعة من المستشرقين ليدن ١٩٠٤م.

(٢) حسان بن ثابت " حياته وشعره" ، دكتور/ إحسان النص، ص ٧٦.

يا حار من يغدر بذمه جـاره ∴ منكم فإن محمداً لم يغـــدر
إن تغدروا فالغدر منكم شيمة ∴ والغدر ينبت فى أصول السخبر

فقـال الحـارث : يـا محمـد أنا عائذ بك من شره، فلو مزج البحر بشعره مزجـه"[1].

هـذه هـى بعض الأسباب التى دعتنى لاختيار شعر حسان بن ثابت نمـوذجاً، بالإضـافة إلـى غيرها من الأسباب الأخرى التى لا يتسع المجال لذكرها.

وأما عن منزلته بين معاصريه فيُعد حسان[2] بن ثابت من الشعراء الذين سبقوا غيرهم فى الدخول إلى الإسلام، وكذلك فى التأثر بكل ما جاء به القرآن الكريم من بناء فكرى وصور شعرية وتراكيب لغوية .. وغيرها.

وذلـك لأنـه من أوائل الشعراء الذين عاشوا فى ظل القرآن الكريم ومعيـته. وفـى ظل النبى – صلى الله عليه وسلم – يستمدون وينهلون من فـيض القـرآن الذى لا ينضب ونبعه الذى لا يجف فقد أبهرهم بيانه الرائع وأسلوبه العذب فأمدهم بألفاظ ومصطلحات جديدة لا عهد لهم بها من قبل.

ويمكننا أن نحس بأثر القرآن الكريم فى ثقافة الشاعر التى كان يودعها أشـعاره. حـيث كان الشعراء يغترفون من القرآن نصاً وروحاً، وقد كان تأثير القـرآن امتداداً لإعجازه فى الجانب الإيمانى عندهم مما يكشف لنا بوضوح سبب

---

(١) الأغانى لأبى فرج الأصبهانى جـ٤/١٥٥ ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٧م.

(٢) نسب الرواة حسان إلى أبيه فقالوا : هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بـن زيد بن مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار – وهو تيم الله بن ثعلبه بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو بن مزيقياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ – بن يشجب بن يعرب بن قحطان.
ونـسبوا إلـى أمه فقالوا: أم الفريعة بنت خنيس بن لوذان بن عبد ود بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج.
وبذلك يكون حسان بن ثابت خزرجياً من جهة أبيه وأمه، ومن أقوى بطونها جميعاً.
راجع ديوان حسان بن ثابت تحقيق دكتور/ سيد حنفى ص ٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٧٤م.

وقوفهم إلى جانب الدعوة الإسلامية مدافعين عنها متصدين لأعدائها من شعراء المشركين.

ولقد تبوأ حسان منزلة عظيمة بين معاصريه فى الجاهلية والإسلام فهو فى الجاهلية لسان قبيلته وسيد من ساداتها ضد الأوس وشعرائها. وقد كان نصيب حسان كما يقول البرقوقى شارح الديوان " نصيب الشاعر الذى أذاب الشعر والشعر يذيبه، ويدعو القول والقول يجيبه – نصيب العبقرى المفتن الموهوب الذى ملك الفن عليه حسه، واستبد به حتى ما يكاد يعرف نفسه. وهو الشاعر العبقرى – فقد شهد كثيراً من حروب الأوس والخزرج فى الجاهلية ثم شهد المشاهد كلها فى الإسلام. ومع ذلك كله لم يخترط سيفاً وما شاك سلاحاً، وإنما سيفه الصمصامة الذكر لسانه، ومذوداه قلبه وبيانه، وهذا هو كل ما يملك حسان، وهذا هو كل ما كان منه، وسط هذه المعامع والوقائع والحروب، قافية ينتصر فيها لقومه ويفتخر بمساعيهم وفعالهم، أو قصيدة يدافع فيها عن السيد الأمين ويذب عن بيضة الإسلام ويشهر فيها بقريش..."[١]

قال أبو عبيدة: اجتمعت العرب على أن حساناً أسعر أهل المدر. وقال عمرو بن العلاء: حساناً أشعر أهل الحضر، وقال أبو الفرج الأصبهانى: "حسان " فحل من فحول الشعراء.

وجاء عن عمر بن الخطاب قوله : " من خير صناعات العرب الأبيات يقدمها الرجل بين يدى حاجته ، يستزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم".[٢]

وبذلك يكون حسان بن ثابت قد تربع على خير صناعات العرب فى الجاهلية والإسلام، فقد عاش حياته بين الجاهلية والإسلام متخذاً من الشعر سلاحاً يدافع به عن قومه فى الجاهلية. وينافح به عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين شعراء المشركين فى الإسلام.

---

[١] شرح ديوان حسان بن ثابت ، لعبد الرحمن البرقوقى الأنصارى ص ٢١.
[٢] البيان والتبيين للجاحظ جـ٢/ ٣٢٠ تحقيق عبد السلام هارون.

وأمـــا عن مكانته فى الجاهلية فمن الثابت أنه نظم الشعر الجيد فى الجاهلـــية حتـــى عُدَّ من شعرائها المشهورين، ومن ثم عده ابن سلام أشهر شعراء المدينة وهى عنده أشهر القرى.. وقد طرق حسان الموضوعات التى شـــاعت عـــند الـــشعراء الجاهليـــين، فـــنجده قبيل الإسلام يتردد علَى بلاط الغساسنة مادحاً ساداتهم[١].

ويقـــال أيضاً أنه مد رحلاته إلى بلاد النعمان بن المنذر. وكان لسان قبيلـــته "الخـــزرج" فـــى الحـــروب التـــى قامت بينها وبين قبيلة الأوس فى الجاهلـــية. ومن ثم اصطدم بالشاعرين الأوسيين قيس بن الخطيم وأبى قيس ابن الأسلت[٢].

ويدلـــنا ذلـــك علـــى أن " حـــسان " قد طرق فى شعره قبل الإسلام الموضـــوعات الجاهلية وأجادها وأتقنها خاصة موضوعات الهجاء والمديح والفخر والرثاء والوصف.

وقد بلغ فى ذلك كله شأناً عظيماً يدلنا عليه شعره الجيد فى مدح آل جفنة من الغساسنة[٣].

ومما يدلنا أيضاً على منزلته فى الجاهلية أن مزرداً أخا الشماخ كان يفاخر به كعب بن زهير حيث رد عليه مزرد بقوله :

فلستَ كحسانَ الحسام ابن ثابت ∴ ولست كشماخ ولا كالمخبل[٤]

فحـــسان يُعد من بقية الشعراء الجاهليين الذين امتد بهم العمر. ولم يـــبق فى عصره منهم من يطاوله مكانة ومنزلة إلا لبيد بن ربيعة وكعب بن زهيـــر والحطيئة والخنساء. ولم يتمكن أحد من هؤلاء الشعراء أن يبرز فى

---

(١) الـــشعر والـــشعراء لابن قتيبة جـــ١/٣١١. تحقيق أحمد محمد شاكر،ط الثالثة، سنة ١٩٧٧م.

(٢) راجع ديوان حسان تحقيق الدكتور/ سيد حنفى، وكذلك ديوان قيس بن الخطيم تحقيق د/ناصر الدين الأسد.

(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى جـــ١/٢١٨ ، وكذلك الشعر والشعراء جـــ١/ ٣١١.

(٤) الشعر والشعراء جـــ١/١٦٢.

الإسلام ويساير الدعوة الإسلامية مثلما برز حسان فهو الشاعر البارز الذى يهابه ويخشاه خصومه.

فقد كانت قريش تجزع جزعاً شديداً من هجائه حيث كان يطعنهم فى أحسابهم وأنسابهم ويرهبهم بالهنات، وكان الرسول يوجهه الوجهة التى تروع خصوم المسلمين وأعداءهم.

فالرسول كان يرى أن الملكة الشعرية عند حسان أصلح منها عند سواه.

وقد أراد الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يستخدم ملكة حسان فى سبيل الدعوة الإسلامية. فوجه مقدرته الهجائية الفائقة لمناقضة خصومه من المشركين. وأرسله إلى أبى بكر الصديق يعلمه هنات القوم، فهو نسابه العرب.

فعن السيدة عائشة – رضى الله عنها – قالت : حين رأى النبى – صلى الله عليه وسلم – عتو قريش وهجاءها الشديد دعا المسلمين القادرين إلى جهاد جديد " أهجو قريشاً، فإنه أشد عليهم من رشق النَّبل، فأرسل إلى ابن رواحة – رضى الله عنه – ثم إلى كعب بن مالك – رضى الله عنه– ثم إلى حسان – رضى الله عنه – وقال : إن روح القدس لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله. وقال: حين قام حسان لهم " هجاهم حسان فشفى واشتفى"[١].

ومما يدل على منزلة حسان فى الإسلام أن الرسول كان يضع له منبراً فى المسجد، فينشد فيه ويدافع عن الله ورسوله[٢]. وقد استمر حسان على عادته بعد وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم – فمر عمر بن الخطاب ، وهو ينشد فى المسجد، فلحظ إليه. فقال: قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبى هريرة – رضى الله عنه – فقال: أنشدك الله

---

(١) يراجع الحديث عن السيدة عائشة فى صحيح مسلم جـ٤/١٤٦.

(٢) انظر سنن أبى داود جـ٤/٤٦٤.

أسمعت رسول الله يقول: أجب عنى اللهم أيده بروح القدس، فقال أبو هريرة: اللهم نعم[1].

وبذلك يُعد حسان بن ثابت من أوائل الشعراء المسلمين وأعظمهم منزلة وأبعدهم أثراً فهو الذى تولى الدفاع عن الإسلام والمسلمين بشعره عندما أمره الرسول – صلى الله عليه وسلم – بذلك.

وترجع أهمية حسان إلى أنه من أبرز الشعراء الذين رفعوا راية النضال الشعرى ضد المشركين وأنه أقوى الشعراء الذين اعتمد عليهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – فى الذب عن أعراض المسلمين ضد هجاء قريش أول الأمر"[2].

وقد كان حسان موضع عناية الدارسين قديماً وحديثاً، ويبرر ذلك أبو عبيدة بقوله : فضل حسان الشعراء بثلاث كان شاعر الأنصار فى الجاهلية، وشاعر النبى – صلى الله عليه وسلم – فى النبوة، وشاعر اليمن كلها فى الإسلام[3].

وقال : اجتمعت العرب على أن حساناً أشعر أهل المدر. وقال الحطيئة أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر العرب. ولقد ظل الشعر مزدهراً فى صدر الإسلام ، فقد روى عن النبى – صلى الله عليه وسلم – ما يدل على عنايته بالشعر وتقديره لأثره الكبير فى نفوس العرب: قال – صلى الله عليه وسلم – إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكما وقيل لحكمة..

وهكذا نجد أن النبى – صلى الله عليه وسلم – يقرن البيان بالسحر وذلك فصاحة منه، وأنه أيضاً جعل من الشعر حكما أو حكمة لأن السحر يخيل للإنسان ما لم يكن للطافته وحيلة صاحبه. وكذلك البيان يتصور فيه

---

(1) يراجع الحديث فى صحيح مسلم جـ٤/١٤٦.

(2) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، دكتور/ يحيى الجبورى ص ٦٣ ، مؤسسة الرسالة، ط الثانية، ١٤٩١هـ-١٩٨١م.

(3) الأغانى جـ٤/١٣٦ لأبى فرج الأصبهانى، وكذلك شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصارى، ص ٢٩، لعبد الرحمن البرقوقى.

الحـــق بـــصورة الباطل، والباطل بصورة الحق. لرقة معناه ولطف موقعه ، وأبلـــغ البيان عند العلماء الشعر. " ومن يقرأ شعر المخضرمين متصفحاً ما نثـــر فى كتب التاريخ والأدب يجد جمهور الشعراء يصدرون فى جوانب من أشعارهم عن قيم الإسلام الروحية التى آمنوا بها وخالطت شغاف قلوبهم".[١]

ومما يدلنا دلالة قاطعة على منزلة حسان فى الإسلام أن شعره كان وســـيلة مـــن وسائل الدفاع عن الإسلام والذود عن حياض المسلمين ونشر الدعـــوة الإسلامية. " وبحق سُمىَّ حسان شاعر الإسلام ورسوله الكريم، فقد عـــاش يناضـــل عنه أعداءه من قريش. واليهود ومشركى العرب رامياً لهم جميعاً بسهام مصيبة".[٢]

ولعـــل فيما ذكرت ما يدل دلالة قوية على منزلة حسان فى الجاهلية والإسلام، وأنها كانت منزلة عظيمة لا تدانيها منزلة أى شاعر آخر. ومن ثم يحق لنا أن نختاره نموذجاً لبيان أثر القرآن الكريم فى شعر صدر الإسلام.

---

[١] تاريخ الأدب العربى فى العصر الإسلامى، دكتور/ شوقى ضيف ص ٦٨.
[٢] شرح ديوان حسان ص ٧٩.

ثالثاً : أثر القرآن الكريم فى شعره :

لقد كان لقراءة حسان بن ثابت وحفظه للقرآن الكريم وملازمته للرسول- صلى الله عليه وسلم - ودفاعه الدائم بشعره عن الإسلام والمسلمين ضد كفار قريش وغيرهم من المشركين ، أثره الواضح فى شعره.

فالذى يتأمل شعره الإسلامى يجد أنه فى الكثير من قصائده التى قالها دفاعاً عن الإسلام متأثراً بالقرآن الكريم فى صوره الشعرية وبنائه اللغوى والفكرى ، وغير ذلك مما جاء فى شعره.

لقد تمكن القرآن بروعة بيانه وعذوبة ألفاظه وقوة معانيه وسلامة أفكاره من كيان حسان ووجدانه، فارتقى بحسه وشعوره. مما جعله ينهل من خضمه البيانى المعجز الذى لا يحيط به إنسى ولا جان، مهما أوتى من حكمة وبيان، فاقتبس حسان من بيان القرآن مما جعل أساليبه ترقى وأفكاره تنضج وتسمو وآفاقه تتسع.

فجاءت ألفاظه سهلة ممتعة قوية الأداء، عظيمة المدلول وأفكاره ومعانيه قيمة سامية، وأسلوبه قوى التصوير، مما يترك أثره العميق فى النفس.

وهذا الذى سوف نتناوله فى الصفحات التالية ، فإنما هو بيان لمظاهر القرآن الكريم فى شعر حسان من ناحية :

١ - الصورة الشعرية.
٢ - البناء اللغوى.
٣ - البناء الفكرى.

١ – مظاهر القرآن الكريم فى الصورة الشعرية :

ممـــا لا شك فيه أن الشاعر يستمد صوره وأخيلته مما وقعت عليه عيـــنه وسجلته ذاكرته، فالشاعر هو ابن بيئته، ولذلك فهو يستخلص صوره الشعرية وأخيلته من بيئته التى يعيش فيها.

ويـــشكل الخـــيال فـــى الأعمال الأدبية بصورة عامة ، الجانب الفنى الذى تبرز من خلاله عملية الخلق والإبداع الفنى. " فيبدو فى صوره العديدة من التشبيه والمجاز والاستعارة وحسن التعليل"(١).

فهذه اللوحات الفنية وما تحويه من الصور النابضة بالحياة إنما هى فـــى الواقع صور يستمدها الأديب من مخزون الذاكرة التى يحتفظ بها العقل. فتظل عالقة فى ذهنه حتى يحين قطافها عندما يغمس الأديب ريشته فى اللغة فيـــتحكم فـــى ألوان الكلمات – وفى تجسيد الصورة وتحريكها فى عمل فنى متناســـق حـــيث إن الخـــيال " هو الملكة التى يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صـــورهم، وهم لايؤلفونها من الهواء، إنما يؤلفونها من إحساسات سابقة لا حـــصر لهـــا، تختزنها عقولهم وتظل كامنة فى مخيلتهم، حتى يحين الوقت، فـــيؤلفوا مـــنها الصورة التى يريدونها، صورة تصبح لهم لأنها من عملهم وخلقهـــم . والخـــيال عـــند الأدبـــاء يقـــوم علـــى شيئين: دعوة المحسات والمدركات، ثم بناؤها من جديد"(٢).

فالصورة بطبيعة الحال وليدة الخيال الذى يساعد الشعراء على تصوير عاطفـــتهم الفياضـــة وإيمانهم الصادق. وهذا الوضوح ميزة كافية ترقى بالشعر عـــندهم مما أضفى على شعرهم الوضوح والبساطة والبعد عن التعقيد. ومما لا شـــك فيه أن تأثرهم بلغة القرآن الكريم وأساليبه أبعدهم عن الغموض ومتاهات الخيال.

---

(١) دراســـات فـــى الـــنقد الأدبى، دكتور/ محمد عبد المنعم خفاجى ص ٧٠، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى.

(٢) فى النقد الأدبى ، دكتور/ شوقى ضيف ص ١٦٧، دار المعارف، سنة ١٩٦٢م، الطبعة السابعة.

فالصورة الفنية هى الوشيجة العضوية فى بناء القصيدة العربية، فهى إذن " قديمة قدم الشاعر"[1].

والصورة الشعرية التى نلاحظها فى شعر حسان بن ثابت تواكب هذا التطور الملموس الذى دفعه الإسلام دفعاً قوياً فتأثر بدلالات الألفاظ القرآنية وبخصائص النسق الفنى والجمالى لألفاظه ومعانيه، التى فاضت بالألوان البديعة المبتكرة فى التعبير عن موضوعات متعددة تجاوزت فى معظمها الحياة المحسوسة فى الدنيا إلى قضايا الدين ووسائل الروح والغيبيات ومعضلات النفس فى الآخرة.

فقد كان للجو النفسى الذى عاش فيه الشاعر بعد إسلامه أثره الواضح فى انطلاقه وخياله وتكوين صورته الشعرية. ويتضح لنا ذلك من خلال شعره الذى تأثر فيه بالقرآن الكريم حيث يقول :

فلما أتانا رسول المليك (م) بالنور والحق بعد الظَّلم

وقلنا صدقت رسول المليك ∴ هلم إلينا وفينا أقم

فنشهد أنك عند المليك (م) أرُسلت حقاً بدين قيم[2]

فالمتأمل فى الأبيات السابقة يجد أن الشاعر قد رسم لنا صورة شعرية صور فيها حالهم قبل أن يأتى الرسول صلى الله عليه وسلم بالنور والحق حيث كانوا يعيشون فى ظلام دامس، فبدد نور الإسلام ذلك الظلام، ويتعلق محو تلك الصورة المظلمة ببعثة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذى جاءهم بالحق وأخرجهم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم

---

[1] الصورة والبناء الشعرى ، دكتور/ محمد حسن عبد الله ص ٢٧ ، طبعة دار المعارف، سنة ١٩٨١م.

[2] شرح ديوان حسان ، لعبد الرحمن البرقوقى ص ٤٣١.

والإيمان، ثم آمنوا به وصدقوه، وأقام فيهم ومما يدل عل مكانة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عندهم، ما نجده فى الضمير " نـــا " فى قوله " فينا " وهـــم يـــشهدون بأنه عبد الله ورسوله، جاءهم بدين جديد قيم ، أى مستقيم ليس فيه اعوجاج.

فالشاعر هنا متأثر بألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، فهو يقتبس معانى البـــيت الأول مـــن قـــوله تعالـــى : (الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)[١] .

حـــيث جـــاءت الصورة التى رسمها الشاعر على نسق تلك الصورة التى رسمها القرآن الكريم، وذلك بإخراجه الناس من ظلمات الجهل والضلال إلـــى الـــنور والـــضياء لمـــا لهما من مكانة كبيرة وأهمية عظيمة فى حياة العربى، لأنه يشعر دائماً فى بيئته برهبة الظلام وقسوته. وقد وظف الشاعر ذلك فى صوره الشعرية أصدق توظيف، حيث يقول :

فأمـــسى ســـراجاً مستنيراً وهادياً ∴ يلـــوح كما لاح الصقيل المهند
وأنـــذرنا نـــاراً وبـــشر جـــنة ∴ وعلمـــنا الإسلام فالله نحمد[٢]

فعـــندما ننظـــر إلـــى هـــذين البيتين نجد أن الشاعر يشير إلى بعثة الرســـول – صـــلى الله عليه وسلم – الذى أرسله ربه كالسراج المنير. فهو يهديهم إلى طريق النور والنجاة، فقد جاء بعد فترة من الرسل ليخرجهم من الظلمـــات إلـــى النور، وليعلمهم تعاليم الإسلام السمحة، ولينجيهم من عذاب الـــنار ويبـــشرهم بالجنة. وهكذا نجد أن الشاعر قد انطلق بخياله فجاء بتلك الصورة البديعة التى استقى مادتها من قول الله عز وجل:

(يَـــا أَيُّهَـــا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً*
وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً *وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

---

[١] سورة إبراهيم : الآية رقم ١.
[٢] شرح ديوان حسان ص ١٣٥.

بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً) [1]

وقوله سبحانه : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) [2]

حيث شبه الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالسراج أو بالشمس، لأن من معانى السراج : الشمس. " وجعلناه سراجاً وهاجاً " وكما أن الشمس أو السراج تبدد الظلام. فإن الرسول جاء ليخرج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام وضيائه، فإن كان السراج قد بدد الظلام المادى – فإن الرسول بدد الظلام الروحى الذى كان يسيطر على الدنيا قبل بعثته – صلى الله عليه وسلم – . وقوله " يلوح " فى الشطر الثانى من البيت، أى يلمع ويبرق كلمعان السيف الصقيل. دلالةً على نور الإسلام وضيائه. وقوة بريقه ولمعانه. التى بددت ظلمات الجاهلية.

أما البيت الثانى، فإنه يحمل لنا صورتين متضادتين. وهما صورة النذير وصورة البشير. " وأنذرنا ناراً وبشر جنة ".

فالإنذار والتحذير ، مما يخاف منه، والمنذر المخوف المحذر. " وبشر جنة " تقول : بشره ، وأبشره ، فبشر به – فرح به، والبشارة المطلقة لا تكون إلا فى الخير. وإنما تكون بالشر، إذا كانت مقيدة كقوله تعالى : " فبشرهم بعذاب أليم " والبشير والنذير هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم جاء بالصورتين معاً صورة البشير وصورة النذير، فهو بشير للمؤمنين ونذير للكافرين.

ويقول حسان :

وقال الله قد أرسلت عبداً ∴ يقول الحق إن نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدقوه ∴ فقلتم لا نقوم ولا نشاء[3]

---

[1] سورة الأحزاب : الآيات رقم ٤٥ : ٤٧.
[2] سورة فصلت : الآية رقم ٣٠.
[3] شرح ديوان حسان ص ٦٢.

فالشاعر فى البيتين السابقين : يرسم لنا صورة شعرية وذلك عندما يصنع موازنة بينه وبين أئمة الكفر والشرك.

فهو قد آمن برسول الله وصدق دعوته. فى حين أن هؤلاء الكفار والمشركين لم يصدقوه، ولم يؤمنوا به. ولذلك فإنه يلقى اللوم عليهم لإعراضهم عن دين الله وتمسكهم بأوثانهم وعدم إيمانهم بالرسول الذى بعثه الله بالحق والهدى. ويتضح جمال تلك الصورة من خلال الموازنة بين صورة المؤمنين وصورة المشركين الكافرين.

وقد استمد الشاعر ذلك كله من دلالات الألفاظ القرآنية التى تتحدث عن مصير هؤلاء الكافرين، حيث يقول الله تبارك وتعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً*إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً*إِلا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً) [١]

ويقول حسان :

مستعصمين بحبل غير منجذم ∴ مستحكم من حبال الله ممدود[٢]

إننا حين نتأمل هذا البيت نجد أن الشاعر قد جاء بصورة شعرية ، ألا وهى تلك الصورة التى أحدثها لفظ " حبل " . فالذين دخلوا فى الإسلام وآمنوا بالله عصمهم ذلك الإيمان. فهو بمثابة الحبل المتين المستحكم غير مقطوع حيث خرج باللفظ من معناه الحقيقي ودلالته اللفظية التى يراد بها " الرسن أو الرباط أو العهد أو الذمة .." [٣] إلى معنى آخر "مجازى" بسبب إضافته إلى لفظ الجلالة: حبل الله " فهل كانت مثل هذه الإضافة موجودة قبل نزول القرآن الكريم؟

مما لا شك فيه أن العرب قبل نزول القرآن الكريم لم تكن تعرف لفظ الجلالة بمعنى التوحيد، وإنما اكتسبوه بفضل القرآن الكريم. فلا نجد فى شعر حسان الجاهلى هذه الدلالة الجديدة للفظ " الحبل ".

---

[١] سورة النساء : الآيات ١٦٧: ١٦٩.

[٢] شرح ديوان حسان ص ١٣٦.

[٣] لسان العرب لابن منظور، مادة "حبل"، دار المعارف.

والشاعر هنا متأثر بقوله تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ...)[1]

والبيت كناية عن تماسك المؤمنين ووحدتهم وعدم تفرقهم ، وذلك للرباط المعنوى الذى يربطهم ويوحد بينهم، وهو رباط الدين، وقد أفاد الشاعر من هذا التركيب اللغوى القرآنى " حبل الله " فى أن يخرج لفظ الحبل من معناه الحقيقى إلى المعنى المجازى وذلك عندما أضافه إلى لفظ الجلالة.

ولا شك أن المجاز أبلغ أثراً فى النفس من الحقيقة.

ويقول حسان :

أموالنا ونفوسنا من دونه ∴ من يصطنع خيراً يثب ويحمّد
فتيان صدق كاللّيوث مساعر ∴ من يلقهم يوم الهياج يعرّد[2]

الشاعر فى البيت الأول يرسم لنا صورة لهؤلاء الذين يجعلون أموالهم وأنفسهم دون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وذلك كناية عن حبهم الشديد له وتقديرهم لمكانته بينهم ، فهم يقدمونه على أموالهم وأنفسهم ويفدونه بهما.

ومثل هذه الصورة قد لا تجدها إلا عند المسلمين، فالرسول – صلى الله عليه وسلم – أحب إليهم من أموالهم وأنفسهم، فهم يقدمون رسولهم على أموالهم وأنفسهم. ومن ثمَّ نجد الشاعر فى البيت الثانى يصفهم بالصدق ويشبههم بالأسود فى المعارك.

وفى قوله " مساعر " فى الشطر الأول من البيت يصفهم بالمبالغة فى الحرب والنجدة . ومساعر جمع مسعر ، تقول رجل مسعر فى الحرب إذا كان يؤرثها " يوقدها" أى تحمى به الحرب.

وكلمة "من يلقهم يوم الهياج يعرد" الشطر الثانى من البيت كناية عن فرار أعدائهم وهزيمتهم. نقول عرد الرجل عن قوته إذا أحجم ونكل،

---

[1] سورة آل عمران : الآية رقم ١٠٣.
[2] شرح ديوان حسان ص ٢٠٧.

والتعريد: الفرار. [١]

ولقد تعددت صور القرآن الكريم فى شعر حسان بن ثابت فهو الوحى، وهو كتاب الله، وهو محكم الآيات. وهو الكتاب المنزل وغيرها من الصور التى توضح ماهية القرآن الكريم.

ويتضح لنا ذلك فى الكثير من أشعاره، حيث يقول:

أعفة ذكرت فى الوحى عفتهم ∴ لا يطبعون ولا يرديهم الطمع[٢]

ويقول :

نبى يرى مالا يرى الناس حوله ∴ ويتلو كتاب الله فى كل مسجد[٣]

ويقول :

وقلتمُ لن نرى والله مبصركم ∴ وفيكم محكم الآيات والقيل[٤]

ويقول :

نصرنا بها خير البرية كلها ∴ إماماً ووقرنا الكتاب المنزلا[٥]

فإننا حين نتأمل البيت الأول نجد أن الشاعر قد استقى صورته من قوله تعالى:(قُلْ أيُّ شَيْءٍ أكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأوحِيَ إلَيَّ هَذَا القُرآنُ لأنْذِرَكُمْ بِهِ) [٦]

وأما عن الأعفة الذين ذكرهم الله فى كتابه العزيز فهم الفقراء المحتاجون الذين قال الله فيهم : (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأرْضِ يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلونَ النَّاسَ إلْحَافاً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) [٧]

---

[١] راجع فى ذلك لسان العرب مادة : " سعر – عرد".
[٢] شرح ديوان حسان ص ٢٠٥.
[٣] المصدر السابق ص ١٤٤.
[٤] نفسه ص ٣٧٥.
[٥] شرح ديوان حسان ص ٤١١.
[٦] سورة الأنعام : الآية رقم ١٩.
[٧] سورة البقرة : الآية رقم ٢٧٣.

وأما فى البيت الثانى، فنجدَ أن الشاعر جعل القرآن الكريم هو كتاب الله الذى يتلوه نبيه- صلى الله عليه وسلم- وقد استمد الشاعر صورته من قوله تعالى: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ) [1]

وكذلك نجد أن الشاعر فى البيت الثالث استقى صورته من قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ...)[2]

وهكذا توالت صورة القرآن الكريم فى شعر حسان بن ثابت، تلك الصورة التى من خلالها يتضح لنا كيف ارتقت الصياغة الفنية عند الشاعر بصوره الشعرية التى لم يكن له عهد بها قبل ذلك. فمثل هذه الصياغة لم تكن موجودة قبل الإسلام عنده. ولم يتداولها فى جاهليته وإنما استمدها من القرآن الكريم بعد إسلامه.

وكما تعددت صور القرآن الكريم فقد تعددت أيضاً صور رسول الله – صلى الله عليه وسلم- فى شعر حسان، فهو الرسول والنبى والمصطفى. والمبارك أحمد، ونبى الأمة الهادى، ونبى الهدى ، وخير البرية، وخير الناس إلى غير ذلك من الصور التى صور بها حسان رسول الله – صلى الله عليه وسلم .

حيث يقول :

أعنى الرسول فإن الله فضله ∴ على البرية بالتقوى وبالجود[3]

وقوله :

سقتم كنانة جهلاً من عداوتكم ∴ إلى الرسول فجند الله مخزيها[4]

ويقول :

حتى إذا وردوا المدينة وارتجوا ∴ قتل النبى ومغنم الأسلاب

---

[1] سورة البقرة : الآية رقم ١٠١.
[2] سورة آل عمران : الآية رقم ٧.
[3] شرح ديوان حسان ص ١٣٦.
[4] المصدر السابق ص ٤٨٥.

وغـدوا عليـنا قـادرين بأيدهم ∴ رُدُّوا بغـيظهم علـى الأعقاب[١]

ويقول :

فأنـزل ربـى للنبـى جـنوده ∴ وأيـده بالنـصر فى كل مشهد[٢]

ويقول :

حليلة خير الناس ديناً ومنصباً ∴ نبـى الهـدى والمكرمات الفواضل[٣]

ويقول :

والله مـا حملت أنثى ولا وضعت ∴ مـثل الرسـول نبى الأمة الهادى[٤]

ويقول :

نـصرنا بهـا خيـر البرية كلها ∴ إمامـاً ووقـرنا الكتاب المنزلا[٥]

ويقول :

صـلى الإله ومن يحف بعرشه ∴ والطيـبون علـى المبارك أحمد[٦]

ويقول :

مع المصطفى أرجو بذاك جواره ∴ وفـى نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد[٧]

ويقول :

فكـم كـربة ذب الزبير بسيفه ∴ عـن المـصطفى والله يعطى فيجزل[٨]

وبالنظر فى معانى الأبيات السابقة، نجد أن الشاعر حسان بن ثابت قـد رسم لنا صورة للنبى – صلى الله عليه وسلم – وجاء تعدد تلك الصور فى مخيلة الشاعر تعدداً واضحاً ، وأنه قد استقى مادة بعض هذه الصور من

---

(١) نفسه ص ٦٨.
(٢) نفسه ص٢٠٦.
(٣) نفسه ص ٣٨٠.
(٤) نفسه ص١٥٥.
(٥) شرح ديوان حسان ص ٤١١.
(٦) المصدر السابق ص ١٥٥.
(٧) نفسه ص ١٥٣.
(٨) نفسه ص٣٩٥.

آيات القرآن العظيم.

وحتى لا نطيل فى الاستنباط والاستدلال على معانى هذه الصور من القرآن الكريم فإننا نذكر على سبيل المثال لا الحصر أنه استقى البيت الثانى من قول الله تبارك وتعالى : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) [1].

وكذلك تعددت صفات الله سبحانه وتعالى وأسمائه الحسنى فى شعر حسان بن ثابت فجاء قوله: الله ، المليك، الرحمن، رب الناس، إله الخلق، رب المشارق، ذو العرش.

يقول حسان بن ثابت :

وقال الله قد أرسلت عبداً ∴ يقول الحق إن نفع البلاء[2]

ويقول :

بما صنع المليك غداة بدر ∴ لنا فى المشركين من النصيب[3]

ويقول :

يدل على الرحمن من يقتدى به ∴ وينقذ من هول الخزايا ويرشد[4]

ويقول :

تعاليت رب الناس عن قول من دعا ∴ سواك إلهاً أنت أعلى وأمجد[5]

ويقول :

وأنت إله الخلق ربى وخالقى ∴ بذلك ما عُمرت فى الناس أشهد[6]

ويقول :

---

(1) سورة الأحزاب آية رقم ٥٦.
(2) شرح ديوان حسان ص ٦٢.
(3) المصدر السابق ص ٧١.
(4) نفسه ص١٤٨.
(5) نفسه ص١٣٥.
(6) نفسه ص١٣٥.

دعـــاه إله الخلق ذو العرش دعوة ∴ إلـــى جـــنة يرضى بها وسرور[١]

وبالـــتأمل فى الأبيات السابقة نجد أن الشاعر قد استقى مادة صوره فيها من آيات القرآن الكريم، وبذلك يتضح لنا ما كان للقرآن الكريم من فضل عظيم وأثر واضح فى رسم الصورة الشعرية عند حسان بن ثابت.

[١] ديوان ثابت بن حسان ص ٢٤٢.

٣ – مظاهر القرآن الكريم فى البناء اللغوى "اللغة والأسلوب":

ممـــا لا شـــك فـــيه أن عـــصر صدر الإسلام امتداد طبيعى للعصر الجاهلـــى. فالـــشعراء الذين نظموا الشعر فى الإسلام هم أنفسهم أو بعضهم الذين نظموا الشعر فى الجاهلية.

ولكنـــنا نجد أن الشعراء المسلمين الذين عاصروا الدعوة الإسلامية فـــى عهـــد النبـــى – صـــلى الله عليه وسلم – قد تغيرت ألفاظهم ومعانيهم الـــشعرية ، وتطـــور معجمهم الشعرى تطوراً كبيراً، فاستخدموا ألفاظاً ذات دلالات جديدة لم تكن موجودة ولا متداولة فى العصر الجاهلى.

والـــسبب الـــرئيس فـــى ذلـــك راجع إلى القرآن الكريم الذى امتاز بأســـلوب تصويرى عجيب فى إيصال المعانى مجسدة مما كان له أثره الفعال فـــى تغيـــر لغة هؤلاء الشعراء. ولذلك فإن تجسيده يكون فى اللغة بألفاظها وتراكيبها المختلفة.

فهـــذه اللغـــة ليـــست رداء للفكر وقالباً له وإناء يحتويه، وإنما هى الفكر مجسداً فى ألفاظ لغوية.

" ولما كانت عناصر الأدب فى الفكرة والعاطفة والخيال والألفاظ فإن اللفظـــة تعتبر السبب الأساسى لكل نقد يوجه إلى اللغة، ولا غرابة فى ذلك. فاللفظة هى أصغر الوحدات ذات المعنى فى الكلام المتصل".[١]

ومـــن الملاحظ أن " أول ما يلقانا فى نصوص الشعر ألفاظه، وهى ليـــست ألفاظـــاً محـــددة يـــدل بهـــا الشعراء على أشياء حسية من واقعهم الخارجى، فإنهم لايعبرون عن هذا الواقع ومسمياته الحقيقية، وأنهم يعبرون عن واقعهم النفسى، وما تختلج به نفوسهم من مشاعر وأحاسيس.[٢]

فقـــد نظر هؤلاء الشعراء إلى ما فى القرآن الكريم من جزالة اللفظ

---

[١] دلالة الألفاظ العربية وتطورها، دكتور/مراد كامل ص٣٩. ، مطبعة نهضة مصر، سنة ١٩٦٣م.

[٢] فى النقد الأدبى للدكتور/ شوقى ضيف ص ٢٩.

وبديع النظم والإيجاز والإطناب... إلى غير ذلك من ألوان الجمال فى الأساليب فاستنبطوا منه دقة المعانى وروعة البيان وحسن البديع.

" وإذا كان العرب أوجدوا اللغة مفردات فانية ، فإن القرآن الكريم أوجدها تراكيب خالدة وإن لهذه اللغة معاجم كثيرة تجمع مفرداتها وأبنيتها ولكن ليس لها معجم تركيبى غير القرآن"(١).

ولم تلبث أن تمر الأيام وينتشر الإسلام ويتوالى نزول القرآن وتبدأ الألفاظ والتراكيب تأخذ طريقها إلى لغة الشعراء وتتردد عل ألسنتهم محاولين تجريد الشعر من الخشونة والتعقيد والغرابة وغيرها، مما كان سائداً فى الشعر الجاهلى. فقد " كانت العرب فى جاهليتها على إرث من إرث آبائهم فى لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى، بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت، فعفى الآخر عن الأول"(٢).

ولذلك نجد أن الكثير من الألفاظ والتراكيب والصيغ والعبارات لم تظهر فى شعر صدر الإسلام إلا بعد إسلام بعض الشعراء كحسان بن ثابت وكعب ابن مالك وعبد الله بن رواحة. هؤلاء هم الذين أخذوا يدافعون عن الإسلام بشعرهم. ولذا نجدهم قد تخلوا عن الكثير مما كانوا عليه فى الجاهلية مما لا يتناسب مع تعاليم الإسلام وما جاء به القرآن. ومن ثم كان للقرآن الكريم أثره العظيم فى البناء اللغوى عند حسان بن ثابت من خلال ألفاظه وتراكيبه وعباراته الجديدة التى استخدمها فى معجمه الشعرى.

فمن التعبيرات التى تميز بها شعر صدر الإسلام أسلوب القسم ، فقد استخدم الشعراء جميع أساليب القسم التى ترجع كلها إلى لفظ الجلالة أو صفاته تعالى بالمعنى الجديد الذى جاء به الإسلام وليس بالمعنى الذى كان سائداً فى معتقداتهم الدينية السابقة.

---

(١) إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعى ص ٢٦٨.

(٢) الصاحبى فى فقه اللغة، لابن فارس ص ٧٠٨ ، تحقيق مصطفى الشويحى، طبع مؤسسة بدران، بيروت سنة ١٩٦٣م.

وذلك أخذاً بتعاليم الإسلام وما جاء به القرآن من أن اليمين "القسم" لا ينعقد إلا بالله أو صفة من صفاته. فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت.

وقد تأثر الشعراء فى كل ذلك بأسلوب القرآن الكريم.

يقول حسان بن ثابت :

والله ربى لا نفارق ما جداً ∴ عف الخليقة ما جد الأمجاد[1]

فالشاعر هنا يقسم بالله ربه لا نفارق رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فهو ماجد عف الخليقة.

ويقول أيضاً :

والله أسمع ما بقيت بها لك ∴ إلا بكيت على النبى محمد[2]

فالشاعر هنا يقسم بالله سبحانه أن يبكى النبى محمد عليه السلام ما سمع نعى ميت مدة حياته.

فيقول : يمين الله لا أسمع نعى ميت مدة حياتى إلا بكيت على النبى محمد.

ولا شك أن الشاعر متأثر فى قسمه هذا بأسلوب القرآن الكريم، وقد كان لأسلوبه هذا أثر كبير فى بنائه اللغوى. وأما فى رثائه للنبى– صلى الله عليه وسلم – فنجد أنه قد اتخذ أسلوباً جديداً لم يكن له عهد به فى الجاهلية.

ومن ذلك قوله :

عزيز عليه أن يحيدوا عن الهدى ∴ حريص على أن يستقيموا وتهتدوا[3]

فالشاعر هنا متأثر بقوله تعالى: (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ). [4]

---

[1] شرح ديوان حسان ص ١٣٧.
[2] المصدر السابق ص ١٥٤.
[3] شرح ديوان حسان ص ١٤٩.
[4] سورة التوبة ، آية رقم ١٢٨.

ومما تأثر به أسلوب حسان كذلك وكان له أثره العظيم فى البناء اللغوى عنده تكراره للكثير من الألفاظ والمعانى فى شعره ومن أمثلة ذلك قوله:

ومن خير حى تعلمون لجارهم ∴ عفافاً وعان موثق فى السلاسل
ومن خير حى تعلمون لجارهم ∴ إذا اختارهم فى الأمن أو فى الزلازل[١]

فقد كرر الشاعر قوله " ومن خير حى تعلمون " مرتين.

وكذلك قوله :

ففروا وشد الله ركن نبيه ∴ بكل فتى حامى الحقيقة باسل
ففروا إلى حسن القصور وغلفوا ∴ وكائن ترى من مشفق غير وائل[٢]

فالشاعر فى البيت السابق كرر ففروا، مرتين أيضاً، وهو فى المرة الأولى يؤكد على أنه من خير أحياء العرب (ومن خير حى تعلمون).

أما فى هذه المرة فإنه يؤكد على فرار المشركين أمام جند المسلمين، فالتأكيد هنا لفظى حيث حدث التكرار مرتين للعبارة ومن خير ما تعلمون، والفعل ففروا .

ويقول حسان أيضاً فى رثاء النبى – صلى الله عليه وسلم :

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت ∴ بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبورك لحد منك ضمّن طيبا ∴ عليه بناء من صفيح منضد[٣]

فقد كرر الشاعر كلمة " بورك " فى البيتين السابقين ثلاث مرات . فالشاعر هنا فى شدة انفعاله وتأثره بموت الرسول عليه السلام. وفى تكرار " بورك " انعكاس لحالة الشاعر النفسية، وإشارة للبركة التى حلت بالمكان الذى دفن فيه الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويقول أيضاً:

---

[١] شرح ديوان حسان ص ٣٧١.
[٢] المصدر السابق ص ٣٧٢.
[٣] شرح ديوان حسان ص ١٤٧.

ويثـــرب تعلـــم أنـــا بهـــا ∴ إذا التـــبس الأمـــر ميزانها
ويثـــرب تعلـــم أنـــا بهـــا ∴ إذا قحـــط القِطـــر نـــوآنها
ويثـــرب تعلـــم أنـــا بهـــا ∴ إذا خافـــت الأوس جيرانها[1]

والـشاعر هـنا كرر الشطر الأول من البيت ثلاث مرات. وقد تكرر لجـوء الشعراء إلى تكرار حروف معينة فى أبيات قصائدهم لما فى ذلك من دلالات صوتية أو نفسية أو تأثيرية خاصة فى قصائد الرثاء. وكان ذلك خير مـن الـندب والولولة والظاهر أن الشعراء كانوا يقصدون من استخدام مثل هـذا التكـرار أن يوجهـوا العقول والأنظار إلى معاناتهم وما يكابدونه من حسرة على فقد ذويهم[2].

وقـد كـان الـشاعر حـسان بن ثابت فى تكراره متأثراً بالأسلوب القرآنـى الـذى اعـتمد علـى التكـرار أحيانا حتى يرسخ المعانى فى ذهن المستمع.

وكـذلك تلاحظ أنه قد انتشرت فى شعر حسان الإسلامى صيغ كثيرة لـم تكـن موجودة فى شعره الجاهلى. وخاصة فى رثائه للنبى – صلى الله علـيه وسلم – أو رثائه لمن استشهد من المسلمين. ومن ذلك قوله " صلى الإله – صلى عليك الله ".

يقول حسان فى رثاء أصحاب الرجيع :

صـــلى الإلـــه على الذين تتابعوا ∴ يـــوم الرجيع فأكرموا وأثيبوا[3]

ويقول فى رثاء النبى صلى الله عليه وسلم :

صـــلى الإلـــه ومن يحفّ بعرشه ∴ والطيـــبون على المبارك أحمد[4]

والمتأمل للبيت السابق يتضح له أن الشاعر استمد أسلوبه من قول

---

(1) المصدر السابق ص ٤٧٦.
(2) الحركة الأدبية فى المدينة المنورة ، دكتور سليمان بن عبد الرحمن الزهير، ص ٣٦٢ : ٣٦٣. الطبعة الثانية ١٤١٦هـ، ١٩٩٦.
(3) شرح ديوان حسان ص ٨٤.
(4) المصدر السابق ص ١٥٥.

الله تبارك وتعالى :

(إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) [١]

ويقول أيضاً فى رثاء سيد الشهداء "حمزة بن عبد المطلب":

صلى عليك الله فى جنة ∴ عالية مكرمة الداخل[٢]

وهكذا يتضح لنا مما سبق مدى تأثر حسان فى بنائه اللغوى بتلك الصيغ التى جاءت فى شعره الإسلامى والتى استقاها من أسلوب القرآن الكريم فى الكثير من الأحيان.

وكذلك نلاحظ أيضاً أن هناك الكثير من الصيغ التى استخدمها الشاعر حسان بن ثابت فى شعره الجاهلى وظل يستخدمها فى شعره الإسلامى وذلك لعدم تعارضها مع تعاليم الإسلام ولأثرها الفعال فى الهجاء الذى كان سلاحه الفتاك ضد مشركى قريش وكفارها. ومن تلك الصيغ قوله : " ألا أبلغ –ألا من مبلغ – أبلغ – هلا سألت – يا راكباً إما عرضت فبلغن ... وغيرها.

يقول حسان يهجو أبا سفيان :

ألا أبلغ أبا سفيان عنى ∴ فأنت مجوف نخب هواء[٣]

ويقول :

ألا من مبلغ عنى ربيعا ∴ فما أحدثت فى الحدثان بعدى[٤]

ويقول يهجو أبا الضحاك بن خليفة الأشهلى :

أبلغ أبا الضحاك أن عروقه ∴ أعيت على الإسلام إن تمجدا[٥]

---

[١] سورة الأحزاب : آية رقم ٥٦.
[٢] شرح ديوان حسان ص ٣٨٧.
[٣] شرح ديوان حسان ص ٦٣.
[٤] المصدر السابق ص ١٦٣.
[٥] نفسه ص ٢٠٣.

ويقول :

هــلا ســألت هداك الله ما حسبي ∴ أم الولــيد وخير القول للواعي[1]

ويقول أيضاً فى هجاء أبى سفيان :

أيــا راكباً إما عرضت فبلغــن ∴ علــى النأى منى عبد شمس وهاشما[2]

وهكــذا يتضح لنا من خلال استخدام الشاعر لهذه الصيغ والعبارات فــى الجاهلــية وصدر الإسلام، أنها جاءت معظمها فى الهجاء. ومن ثم كان تأثيــرها قوياً على أعداء الإسلام مما حدا بالشاعر أن يستمر فى استخدامها بعد إسلامه فى هجاء المشركين.

والــذى لا شــك فيه أن ملازمة الشاعر حسان بن ثابت للرسول – صــلى الله علــيه وسلم – وقراءته الدائمة للقرآن الكريم ، كان لهما أثرها الواضــح فى تهذيب ألفاظه واختيار عباراته وصقل أسلوبه وبيانه، وخاصة عــندما آمن العرب ودخلوا فى دين الله، فتوحدت لهجاتهم فى لغة واحدة هى لغــة القرآن الكريم، الذى أصبح دستور الحياة. ولذلك هجر العرب الكثير من الألفاظ التى كانوا يستعملونها فى الجاهلية، ولا سيما الخشن منها والغريب، والحوشى أو تلك التى لا تتناسب مع الدين الجديد.

وكــذلك جدت ألفاظ كثيرة لم تكن متداولة قبل ذلك فى لغتهم، وكذلك الألفــاظ التــى وضعت لمعانيها فى الدين الإسلامى، ولم تكن مستخدمة من قبل.

وكــل ذلك لا شك كان له أثره الفعال فى البناء اللغوى الذى انتهجه حسان فى شعره بعد إسلامه.

يقول حسان فى مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم :

أغــر علــيه للنــبوة خــاتم ∴ مــن الله مــشهود يلــوح ويــشهد

وضــم الإله اسم النبى إلى اسمه ∴ إذا قــال فــى الخمــس المــؤذن أشــهد

---

[1] نفسه ص ٣١١.

[2] نفسه ص ٤٦٦.

نبـــى أتانـــا بعـــد يـــأس وفترة ∴ مـــن الرســـل والأوثان فى الأرض تعبد[١]

فإنـــنا لـــو تأملنا الأبيات السابقة وجدنا أن الشاعر يدعمها من القرآن حـــيث يـــستمد ألفاظه وتعبيراته من القرآن، فنجده يقتبس ألفاظ البيت الأول من قوله تعالى:

(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً)[٢]. والشطر الثانى من قوله : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً)[٣]

وقوله تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً)[٤]

وكـــذلك نجد أنه استمد البيت الثالث من قوله تعالى: " يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَـــدْ جَـــاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[٥]

ويقول حسان :

وشـــق له من اسمه ليجله ∴ فـــذو العـــرش محمود وهذا محمد[٦]

ففـــى هـــذا البيت نجد الشاعر يمزج بين مدحه لرسول الله – صلى الله عليه وســـلم – وبـــين مدح الذات الإلهية . فالله سبحانه وتعالى شق له من اسمه اســـماً فسماه محمداً، واسم الله تعالى المشتق منه محمود، والحمد لا يكون إلا لله، ولا يقـــع إلا علـــيه، فـــأراد الله – تبارك وتعالى – أن يعلى قدر نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – بهذا الوصف تعظيماً له فسماه محمداً.

---

(١) شرح ديوان حسان ص ١٣٤.
(٢) سورة الأحزاب : آية رقم ٤٠.
(٣) سورة الأحزاب : آية رقم ٤٥.
(٤) سورة المزمل : آية رقم ١٥.
(٥) سورة المائدة : آية رقم ١٩.
(٦) شرح ديوان حسان ص ١٣٤.

والشاعر يستمد ألفاظه من قوله تعالى : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) [1]

ونلاحظ أن الشاعر حسان بن ثابت فطن للكثير من الألفاظ التى طرأت فى الإسلام ولم تكن موجودة قبل ظهوره. ومن هذه الألفاظ " الإيمان – الكفر – الإسلام".. فالإيمان الذى هو ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق الذى ضده التكذيب، والفرق بين الإسلام والإيمان هو أن الإسلام إظهار الخضوع والقبول لما جاء به النبى محمد – صلى الله عليه وسلم.

فإذا كان هناك مع الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب لما تلفظ به اللسان، فذلك هو الإيمان. الذى يقال للموصوف به مؤمن، وهو المؤمن بالله، ورسوله، غير مرتاب ولا شاك، وهو الذى يرى أداء الفرائض واجباً عليه، وأن الجهاد بنفسه وماله واجب عليه، ولا يدخله فى ذلك ريب، فهو مؤمن حقاً. وذلك مأخوذ من قوله تعالى :

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [2]

أى أولئك الذين قالوا إنا مؤمنون، هم الصادقون. فأما من أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فى الظاهر فهو مسلم، وباطنه غير مصدق ، فذلك الذى يقول أسلمت ، لأن الإيمان لابد أن يصاحبه تصديق بما آمن به.

يقول حسان بن ثابت:

غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم ∴ إلى الموت ميمون النقيبة أزهر [3]

ويقول أيضاً :

---

(1) سورة الفتح : آية رقم ٢٩.
(2) سورة الحجرات : آية رقم ١٥.
(3) شرح ديوان حسان ص ٢٣٦.

رأيت خيار المؤمنين تواردوا ∴ شعوب وقد خُلفت فيمن يؤخر[١]

فعندما ننظر إلى البيتين السابقين، يتضح لنا أن لفظ المؤمنين الذى ذكره الشاعر لم يتداولَه الشعراء فيما تداولوه من ألفاظ قبل الإسلام. وإنما كان استخدام حسان له فى الإسلام ليفرق به بين فريقين من الناس هم فريق المؤمنين وفريق الكافرين.

يقول حسان :

ألا ليت شعرى هل أتى أهل مكة ∴ إبارتنا الكفار فى ساعة العسر[٢]

ويقول أيضاً :

أنتم أحابيش جمُعّتم بلا نسب ∴ أئمة الكفر غرتكم طواغيها[٣]

الشاعر هنا أورد لفظ " الكفار – أئمة الكفر" ليفرق بين المؤمنين والكافرين.

وكذلك تلاحظ أن (حسان) أورد فى شعره ألفاظاً لم تكن موجودة فى الشعر الجاهلى، فقد ورد فى شعره الإسلامى ذكر " روح القدس – جبريل – الملائكة الأبرار– المسجد – الشهيد – البعث". وغيرها من الألفاظ الإسلامية.

يقول حسان :

وجبريل رسول الله فينا ∴ وروح القدس ليس له كفاء[٤]

ويقول أيضاً :

ماذا تقولون إن قال النبى لكم ∴ حين الملائكة الأبرار فى الأفق[٥]

ويقول أيضاً فى هجاء عتبة بن أبى وقاص:

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣٥.

(٢) (إبارتنا أى أهلكنا تقول أبرنا القوم أى أهلكناهم)شرح ديوان حسان ص ٢٤٣.

(٣) شرح ديوان حسان ص ٤٨٥.

(٤) المصدر السابق ص ٦٢.

(٥) نفسه ص ٣٤٦.

لقـد كان خزياً فى الحياة لقومه ∴ وفـى الـبعث بعد الموت إحدى العولق[1]

فكلمة البعث لم تكن متداولة بهذا المعنى الذى عرفت به فى الإسلام.

وهـناك الكثيـر مـن الكلمات والألفاظ التى تحمل فى باطنها معنى الإسلام وأركانه وأصوله، سواء على طريقة المجاز أو الحقيقة والتى لم تكن موجـودة فى الجاهلية، وظهرت بظهور الإسلام ، وتداولها حسان بن ثابت فى أشعاره والتى لا يتسع المجال لسردها، ونكتفى بالإشارة سريعاً إليها من مـثل " الـتقوى – الجود– الحلال – الحرام – الجنة – النار – الفردوس – الشهيد – القيامة – فرائض الإسلام – دين الهدى – جنة عالية – جنة الخلد – جـنة تثنـى عـيون الحسد .... وغيرها ، وقد كان استخدام هذه الألفاظ والمعانـى مظهراً من مظاهر أثر القرآن الكريم فى سمات البناء اللغوى عند الـشاعر حسان بن ثابت، والذى لاشك فيه هو أن لغة القرآن الكريم ودلالاته اللفظـية واللغـوية كان لها أثرها فى نفوس العرب جميعاً، مما جعلها تخلق أفقـاً رحـباً فـى وجدان الشاعر وفى بنائه اللغوى الجديد الذى استمده فى الكثير من الأحيان من القرآن الكريم وأسلوبه البليغ.

---

[1] نفسه ص ٣٤٦-٣٤٧.

٣ – مظاهر القرآن الكريم فى البناء الفكرى:

مما لا شك فيه أن بناء المجتمعات فكرياً يختلف باختلاف المعتقدات الدِّينية السائدة فى المجتمع. ومن هنا نلاحظ أن الأفكار والمعانى التى كانت سائدة فى المجتمع الجاهلى اختلفت كثيراً عندما أصبح الإسلام سائداً فى مجتمع صدر الإسلام.

فقد أدخل القرآن الكريم كثيراً من المعانى القيمة والأفكار السامية فى حياة العرب بعد إسلامهم، ويتضح لنا ذلك من خلال أغراضهم الشعرية وأفكارهم التى تطرقوا إليها فى مجتمعهم الجديد، والتى لم تكن موجودة فى المجتمع الجاهلى.

فقد كانوا فى الجاهلية يفخرون بأيامهم وبعصبيتهم وشربهم للخمر، حيث كان ذلك مظهراً من مظاهر السيادة والشرف عندهم.

يقول حسان شاعر الخزرج مفتخراً على شعراء الأوس يوم بعاث:

هلا غضبتم لأعبُدٍ قتلوا ∴ يوم بعاث أظلهم ظلف
وكم قتلنا من رائس لكم ∴ فى فيلق يجتدى له التلف
إن سميراً عبد طغى سفها ∴ ساعده أعبد لهم نطف[1]

ويقول فى فخره بشرب الخمر :

ولقد شربت الخمر فى حانوتها ∴ صهباء صافية كطعم الفلفل
..... ∴ .....
بزجاجة رقصت بما فى قعرها ∴ رقص القلوص براكب مستعجل[2]

ولكننا نجد أن (حسان) بعد إسلامه وقراءته للقرآن الكريم ودفاعه عن جماعة الإسلام والمسلمين، قد ارتقى فكره بعد أن شرح الله صدره للإسلام، وملأ قلبه بالإيمان، فتحول الفخر القبلى عنده إلى الفخر بالمسلمين

---

(١) شرح ديوان حسان ص ٣٤١. وجاء صدر البيت الأول فى رواية أخرى " ألا يدل من هل .. "

(٢) المصدر السابق ص ٣٦٧ : ٣٦٨.

جميعاً، لأن الإسلام أطفأ جذوة العصبية الجاهلية ، وألف بين قلوب المسلمين جميعاً، فأصبحوا بنعمة الله إخوانا، وها هو حسان يفخر بالمهاجرين والأنصار جميعاً فيقول :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ∴ قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته ∴ تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ∴ أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا[1]

فالفخر هنا أصبح فخراً بالمسلمين جميعاً بعد أن كان فى الجاهلية فخراً بقبيلة الخزرج فقط.

وفخره بالجماعة الإسلامية يدور معظمه فى نطاق المعانى الإسلامية من الاعتصام بدين الله والمحاماة عنه ونصرة رسوله – صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك قوله يفاخر المشركين :

مستعصمين بحبل غير منجذم ∴ مستحكم من حبال الله ممدود
فينا الرسول وفينا الحق نتبعه ∴ حتى الممات ونصر غير محدود[2]

وقد استقى ذلك من معنى قوله تعالى :

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ .....)[3]

وكذلك نجده يفخر بقومه من الأنصار ويتحدى بلسانهم قريش ومن معها من المشركين حيث يقول:

وقال الله قد يسرت جنداً ∴ همُ الأنصار عرضتها اللقاء[4]

---

(1) شرح ديوان حسان ص ٣٤١.
(2) شرح ديوان حسان ص ٣٤١.
(3) سورة آل عمرن : الآية رقم ١٠٣.
(4) المصدر السابق ص ٦٢.

ويقول أيضاً :

سـماهم الله أنـصاراً لنـصرهم ∴ ديـن الهـدى وعوانُ الحرب تستعر
وجاهـدوا فى سبيل الله واعترفوا ∴ للنائـبات فمـا خاموا وما ضجروا[١]

والمـتأمل فـى البـيت الأول يجـد أن الشاعر استقى اسم الأنصار وأطلقـه علـى أهـل يثرب من الأوس والخزرج لنصرهم دين الله ورسوله الكريم، وذلك من قوله تعالى:

(وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [٢]

ثـم نجده يتحدث فى البيت الثانى عن جهادهم فى سبيل الله بعد أن كانـت حروبهم فى الجاهلية فى سبيل القبيلة، ونصرتها، ولا شك أن الجهاد فـى سـبيل الله من الأمور التى دعا إليها القرآن وحث عليها، ومن ثم تغير فكـرهم كثيراً، فبعد أن كانت حروبهم فى سبيل نصرة بعضهم بعضاً أصبحت حروبهم جهاداً فى سبيل الله وفى سبيل نصرة رسوله ودينه.

وكـذلك نـرى الـشاعر فى موضع آخر من شعره يفخر بقومه من الأنصار فيقول :

وكـنا ملـوك الناس قبل محمد ∴ فلمـا أتـى الإسـلام كان لنا الفضل
وأكـرمنا الله الذى ليس غيره ∴ إلـه بأيـام مـضت مـا لهـا شكل
بنـصر الإلـه للنبـى وديـنه ∴ وأكـرمنا باسـم مضى ما له مثل[٣]

ففى الأبيات السابقة نلمس مكانة حسان وقومه فى العصر الجاهلى، حـيث إنهم كانوا ملوك الناس جميعاً، فلما جاء الإسلام كان لهم فضل السبق فـى الدخـول فـيه. والله سبحانه وتعالى أكرمهم بنصر من عنده، وسموا

---

[١] المصدر السابق ص ٢٥٥.
[٢] سورة التوبة : الآية رقم ١٠٠.
[٣] شرح ديوان حسان ص ٣٨٤.

بالأنصار وذلك لنصرهم دين الله وسبقهم بالدخول فى الإسلام.

ومن الملاحظ أن فخر حسان قد تطور تطوراً كبيراً فأصبح يتناول الإطار والمضمون معاً. فمن حيث الإطار لم يعد فخره وقفاً على الخزرج قومه فقط ، بل اتسع ليشمل كل الأنصار جميعاً، فقد ألف الإسلام بينهم.

يقول حسان :

وإنك لن تلقى من الناس معشراً ∴ أعز من الأنصار عزاً وأفضلا[1]

وأما من حيث المضمون فلم يعد فخره يدور فى فلك القيم الجاهلية وحدها، بل أخذ يستمد فخره من ينابيع إسلامية أخصبت معانيه ووسعت أفاقه وامتزاج القيم الجاهلية بالإسلامية فى هذا الفخر أمر طبيعى، وذلك لأن نفوس القوم فى ذلك الوقت لم تزل متعلقة بالموروث الجاهلى، وخاصة أن الإسلام أبقى على الكثير من القيم الجاهلية التى لا تتعارض مع قيمه ومبادئه.

وعندما كان يقصد حسان إلى الفخر فإنه كان يأتى به ضمن نقائضه مع شعراء المشركين، وهو حينئذ يكون ممتزجاً بالهجاء، وأحياناً يأتى به فى قصائد مستقلة. فهو من أغراض شعره الأصيلة التى تتصل بنفسه أوثق اتصال. وفى الكثير من الأحيان نجده يستهل فخره بالمعانى الجاهلية فيعدد مآثر قومه من جود وكرم وشجاعة ونسب عريق وغير ذلك، ثم يرد فيها بالمآثر التى حازوها فى الإسلام من نصرتهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – وإيوائهم له. والدفاع عن رسالته بسيوفهم وشعرهم، وغير ذلك.

يقول حسان :

نصرنا وآوينا النبى محمداً ∴ على أنف راض من معد وراغم
نصرناه لما حل وسط رحالنا ∴ بأسيافنا من كل باغ وظالم
جعلنا بنينا دونه وبناتنا ∴ وطبنا له نفساً بفئ المغانم[2]

ويقول أيضاً :

---

[1] شرح ديوان حسان ص ٣٨٤.
[2] شرح ديوان حسان ص ٤٣٩.

أتانـــا رســـول الله لما تجهمت ∴ لـــه الأرض يـــرميه بهـــا كلُّ مُوفق
فكـــنا له من سائر الناس معقلا ∴ أشـــم منـــيعاً ذا شـــمايخ شَـــهَّق[1]

كذلك لم يغفل حسان فى فخره عن المفاخرة والتباهى بمتانة القربى التى كانت تربط بنى النجار بالنبى – صلى الله عليه وسلم – حيث يقول:

ونحـــن ولدنا من قريش عظيمها ∴ ولـــدنا نبـــى الخير من آل هاشم[2]

وكثيـــراً مـــا يغمر حسان زهو عظيم يثلج قلبه وفؤاده وذلك عندما يذكر أن الله سبحانه قد آثر قومه وفضلهم على غيرهم من قبائل العرب حين نصر بهم رسول الله وأعز جانبه وأنزل الوحى بين ظهرانيهم.

يقول حسان :

الله أكـــرمنا بنـــصر نبـــيه ∴ وبـــنا أقـــام دعـــائم الإســـلام
وبـــنا أعـــز نبـــيه وكـــتابه ∴ وأعـــزنا بالـــضرب والإقـــدام
ينتابـــنا جبـــريل فـــى أبياتـــنا ∴ بفـــرائض الإســـلام والأحكام
يـــتلو علينا النور فيها محكماً ∴ قـــسما لعمـــرك ليس كالأقسام
فـــنكون أول مـــستحل حلالـــه ∴ ومحـــــرم لله كـــل حـــــرام
نحـــن الخـــيار من البرية كلها ∴ ونظامهـــا وزمـــام كل زمام[3]

وهكذا نلاحظ أن هذا الفخر يشف عن شعور دينى صادق يمتزج فى نفس حسان امتزاجاً قوياً بعاطفة الاعتزاز بنسبه وقبيلته. وهذا هو شأنه فى ســـائر فخـــره الـــذى يتـــصل بالمنافحة والدفاع عن رسول الله والذود عن رسالته، فإنما هو يصدر فى مجمله عن شعور دينى صادق وإيمان عميق.

ومـــما يدلـــنا أيضاً على أثر القرآن الكريم فى البناء الفكرى للشاعر حسان ابن ثابت ما طرأ على فن المديح عنده. فبعد أن كان المديح فى الكثير من الأحوال يخضع للناحية المادية حيث اتخذه بعض الشعراء وسيلة للتكسب من الممدوح ، أو أن يكون المديح من باب التعصب القبلى للممدوح، فإننا لا نجد مثل هذا الشىء فى مديح حسان للرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤٤: ٣٤٥.
(٢) نفسه ص ٤٤٠.
(٣) نفسه ص ٤٤٥.

إلا أن الإسلام أوجد واقعاً قوياً حمل (حسان) على المديح للرسول، وذلك هو الدافع الدينى، فعندما ألقيت مهمة الدفاع والمنافحة عن الرسول على كاهل حسان قبل ذلك راضياً مبتهجاً.

وانتهج حسان فكراً جديداً بنى على أساسه مديحه للرسول، وهو الدافع الدينى حيث أصبحت أخوة الدين لا تقل عن أخوة النسب والعصب. فالإسلام أوجب على المسلمين أن يكون حب الرسول – صلى الله عليه وسلم – مقدماً على حبهم لأنفسهم. فالرسول ليس ملكاً لأحد. وإنما هو خالص لكل المسلمين ، فحبه واحترامه ليس قصراً على قبيلته وعشيرته، وإنما هو موزع على المسلمين جميعاً؛ بل لا يكتمل إيمان المؤمن حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه التى بين جنبيه.

وصفته الدينية أوجبت على كل قبيلة أن تجعل آصرتها برسول الله لا تقل قوة عن الآصرة التى تربطه بعشرته ، ومن ثم كان مديح حسان للرسول عليه السلام يخضع لهذا الدافع الدينى ، وذلك هو الذى جعله يضفى على الرسول من الصفات الحميدة ما يليق به صلى الله عليه وسلم.

وخير ما قال حسان فى المديح قصيدته فى مدح قريش التى قيل إنه ارتجلها حين قدم وفد بنى تميم على الرسول صلى الله عليه وسلم.

يقول فى ذلك :

إن الذوائب من فهر وأخوتهم ∴ قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته ∴ تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ∴ أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
..... ∴ .....
..... ∴ .....
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم ∴ إذا تفرقت الأهواء والشيع[1]

فقد جعل حسان أكثر معانى مديحه فى هذه القصيدة تدور فى إطار المعانى الإسلامية، فهم الذين اختطوا للناس بفضل الرسول الكريم نهجاً

[1] شرح ديوان حسان ص ٣٠٤ : ٣٠٧.

جديداً يتبعونه، ويسير المؤمنون على هديه، وهم الذين ساروا تحت لواء النبي- عليه السلام - يقاتلون أهل الكفر والشرك، حتى دانوا لهم وحسبهم شرفا وفخراً، أنهم شيعة رسول الله وجنده المدافعون عنه.

وهكذا جاء مديح حسان للرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث أداره على المعانى الإسلامية وحدها، فهو لم يظهر الرسول فى صورة سيد من سادة أهل الجاهلية وعظمائها يعتز بنسبه وحسبه ومآثره، وإنما أظهره فى صورة نبى كريم ورسول عظيم أرسله ربه لهداية الناس، فأضفى عليه من الصفات ما يلائم هذه الصورة فهو مبارك، ميمون النقية، ماجد، عف الخليقة، رءوف بالناس، هادٍ ومرشدٍ لهم.

يقول فى ذلك مجيباً أبا سفيان :

هجوت محمداً فأجبت عنه ∴ وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء ∴ فشركما لخيركما الفداء
هجوت مباركاً براً حنيفاً ∴ أمين الله شيمته الوفاء[1]

وقد أراد الشاعر من خلال هذه الأبيات أن يظهر صفة النبوة والهداية التى اتصف بها النبى - صلى الله عليه وسلم - وتميز بها عن سائر الخلق.

وكذلك نجد أن فى شعر حسان الإسلامى ترجمة صادقة لصدق إيمانه وتأثره فى معانيه وأفكاره بمعانى القرآن وبما فيه من سمو فكرى وعقائدى.

حيث يقول :

شهدت بإذن الله أن محمداً ∴ رسول الذى فوق السموات من علِ
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما ∴ له عمل فى دينه متقبل
وأن أخا الأحقاف إذ يعدلونه ∴ يقوم بدين الله فيهم فيعدل[2]

ففى الأبيات السابقة نجد أن الشاعر كان تأثره واضحاً بمعانى

---

(١) شرح ديوان حسان ص ٦٤.
(٢) شرح ديوان حسان ص ٣٧٥: ٣٧٦.

القــرآن وأفكاره، فهو كما يشهد بنبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – وأنه رســول الله الــذى أرســله، يقــر أيضاً بنبوة الأنبياء الآخرين ويؤمن بهم، فالإيمــان بما جاءوا به تأمر به العقيدة الإسلامية، وقد استقى ذلك من قوله تعالى :

" آمَــنَ الرَّسُــولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ".[1]

وهكــذا يتــضح لــنا أثر دلالة الألفاظ القرآنية الواضح فى الأبيات الــسابقة، فهو فى البيت الثانى يشير إلى نبى الله زكريا وابنه يحيى عليهما السلام، مقتبساً أفكاره تلك من قوله تعالى :

(هُــنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ*فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِــي الْمِحْــرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ) [2]

وقد أشار إليهما القرآن الكريم فى موضع آخر حيث يقول الله تبارك وتعالى:

(يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً) [3]

أما فى البيت الثالث فنرى الشاعر يشير إلى نبوة سيدنا هود عليه السلام إذ أرسله الله إلى قوم عاد فلم يؤمنوا به ولم يتبعوا رسالته.

والــشاعر هــنا متأثر إلى حد كبير بما ورد ذكره فى القرآن حيث يقول الله تعالى:

(وَإِلَــى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ

---

[1] سورة البقرة، الآية (٢٨٥).
[2] سورة آل عمران : آية رقم ٣٨، ٣٩.
[3] سورة مريم : آية رقم ٧.

إلا مُفْتَرُونَ) [١]

وقوله تعالى :

(وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [٢]

وبذلك يتضح لنا أثر القرآن الكريم فى البناء الفكرى عند الشاعر حسان بن ثابت ، وكيف كان تأثره بمعانى القرآن الكريم مما جعل أفكاره تسمو ومعانيه ترقى عما كانت عليه فى الجاهلية، وتأتى أفكاره ومعانيه فى إطار إسلامى خالص، وإن كان فيها بقايا مما كان فى الجاهلية فهى لا تخرج عما دعا إليه الإسلام والقرآن.

---

[١] سورة هود : آية رقم ٥٠.

[٢] سورة الأحقاف : آية رقم ٢١.

الخاتمة

لقد كانت تلك الدراسة لعلم من أعلام الشعر فى صدر الإسلام، محاولين من خلالها بيان أثر القرآن الكريم فى شعره، وقد جاءت تلك الدراسة بعنوان :

أثر القرآن الكريم فى شعر صدر الإسلام
" شعر حسان بن ثابت نموذجاً"

وبعد الدراسة والمعايشة لهذا البحث نستطيع أن نخرج بعدة نتائج نوجزها فيما يلى :

١- لقد كان للقرآن الكريم أثره العظيم فى حفظ اللغة العربية وصيانتها وتطورها. وذلك بما أدخله فيها من ألفاظ وعبارات وصيغ وغيرها مما لم يكن للعربية عهد به من قبل، أو بتطوره لمعانى بعض ألفاظها لتتناسب مع الدين الجديد أو بما استقته اللغة العربية من القرآن الكريم.

٢- يتضح لنا من خلال هذا البحث أن هناك علاقة وثيقة تربط بين النص القرآنى والنص الأدبى " شعره ونثره "، حيث كان للاقتباس من القرآن الكريم لفظاً ومعنى أثر واضح وجلىّ فى شعر الشعراء وخطب الخطباء. وكذلك كان للقرآن الكريم أثره فى حفظ النص الأدبى من الاندثار ضمن اندثار اللغة العربية نفسها على نحو ما فعلته الأيام والسنون بشقيقاتها من اللغات الأخرى كغيره من النصوص الأدبية التى اندثرت وانمحت وذلك لمجئ النص الأدبى بلغة القرآن التى ضمن الله سبحانه وتعالى لها البقاء والحفظ.

٣- لقد كان موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء من خلال نظرة واضحة تقوم على بيان أهميته بصفته فناً من الفنون، أو علماً من العلوم له قيمته وأثره فى المجتمع فى ذلك الوقت. فهو كلام مؤلف حسنه حسن وقبيحه قبيح ، ومن ثم كانت نظرة القرآن للشعر وأثره

فـــى نفـــوس العـــرب واستخدامه فيما يفيد ويخدم الدعوة الإسلامية ومحاربة ما يخرج منه على تعاليم الإسلام، وما جاء به القرآن.

٤- جـــاء اختـــيارنا لشعر حسان بن ثابت نموذجاً وذلك لمكانته ومنزلته بين معاصريه فى الجاهلية والإسلام، ولأثر القرآن الكريم الواضح فى شـــعره ولاتخاذه الشعر وسيلة للدفاع عن الرسول – صلى الله عليه وســـلم – وعن الدعوة الإسلامية مما كان له أثره فى أعداء الإسلام. ولـــذا فهـــو يُعـــد بحق شاعر الإسلام والمسلمين فى تلك الفترة من الدعوى الإسلامية.

٥- جـــاءت الـــصورة الـــشعرية عـــند حسان واضحة ومتنوعة لالتقاطه خـــيوطها فى الكثير من الأحيان من القرآن الكريم والاستعانة به فى تشبيهاته وكناياته واستعارته. وغير ذلك من الوسائل الفنية فى بناء الصورة الشعرية.

٦- تأثـــر البـــناء اللغوى عند حسان بالقرآن الكريم ، فقد استقى الشاعر الكثير من ألفاظه وأسلوبه وعباراته من آيات القرآن الكريم ومعانيه.

٧- كان للقرآن الكريم أثره الواضح فى البناء الفكرى عند الشاعر، حيث دارت معظـــم أفكـــاره ومعانـــيه فى إطار إسلامى محدد بآيات القرآن وتعالـــيم الإســـلام مـــع الإبقـــاء على الأفكار والقيم الجاهلية التى لا تتعارض ومبادئ هذا الدين الحنيف.

وفى نهاية هذا البحث نقول :

رحم الله سيدنا حسان بن ثابت ورضى عنه، فقد جاهد فى سبيل الله بـــشعره ولـــسانه، أصـــدق الجهـــاد، فكان لجودة شعره وقوة بيانه وتوجيه الرســـول – صلى الله عليه وسلم – له وتأثره بما جاء فى القرآن من حكمة وحـــسن بـــيان وفكـــر قـــويم أثره القوى ودوره المحورى فى نشر الدعوة الإســـلامية، وإخـــضاع الكفـــار والمشركين فى شتى أنحاء الجزيرة العربية وخارجهـــا ، ومـــا أحوجـــنا اليوم لشعراء مثل حسان ليدافعوا عن الإسلام

بشعرهم كما دافع حسان، ويتخذوا من الشعر سلاحاً للدفاع عن قضايانا العربية والإسلامية، ومن ثم يسهم الشعر مساهمة فعالة فى الكثير من القضايا المعاصرة لأمتنا، فما زال للكلمة القوية والعبارة الرصينة أثرها فى توضيح الفكرة وبيانها للجميع، مما يساعد على قبولها والاقتناع بها.

تم بحمد الله

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى. دكتور/ محمد مصطفى هدارة، طبعة دار المعارف، سنة ١٩٦٣م.

٢- الأسس النفسية للإبداع الفنى فى الشعر خاصة، دكتور/ مصطف سويف، طبعة دار المعارف، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٨١م.

٣- الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى، دار الكتب المصرية، القاهرة، سنة ١٩٢٧م.

٤- البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

٥- تاريخ الأدب العربى " العصر الإسلامى" ، دكتور/ شوقى ضيف، دار المعارف، الطبعة الثالثة عشرة.

٦- تاريخ الطبرى، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف، مصر.

٧- تفسير القرآن العظيم للحافظ بن كثير، الناشر دار المعرفة، بيروت، لبنان، سنة ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.

٨- تفسير الكشاف للزمخشرى.

٩- الحركة الأدبية فى المدينة المنورة، دكتور/ سليمان بن عبد الرحمن الزهير ، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

١٠- حسان بن ثابت " حياته وشعره"، دكتور/ إحسان النص، دار الفكر، دمشق.

١١- دراسات فى النقد الأدبى، دكتور/ محمد عبد المنعم خفاجى، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى.

١٢- دلائل الإعجاز تأليف عبد القاهر الجرجانى، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، الناشر:مكتبة الخانجى،القاهرة،الطبعةالثانية، سنة ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

١٣- دلالة الألفاظ العربية وتطورها، دكتور/ مراد كامل، طبعة نهضة مصر، سنة ١٩٦٣م.

١٤- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق دكتور/ سيد حنفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٧٤م.

١٥- ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق دكتور/ ناصر الدين الأسد.

١٦- الروض الأنف فى تفسير السيرة لابن هشام، لأبى القاسم، مكتبة الكليات الأزهرية، سنة ١٩٧١م.

١٧- سنن أبي داوود.
١٨- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ضبطه وصححه عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، سنة ١٩٨٠م.
١٩- شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، دكتور/ يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٢٠- الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٧م.
٢١- شعر النابغة الجعدي.
٢٢- الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس، تحقيق مصطفى الشويحي، طبع مؤسسة بدران، بيروت، سنة ١٩٦٣م.
٢٣- صحيح مسلم.
٢٤- الصورة والبناء الشعري، دكتور/ محمد حسن عبد الله ، طبعة دار المعارف، سنة ١٩٨١م.
٢٥- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
٢٦- الطبقات الكبرى لابن سعد، حققه جماعة من المستشرقين ، لندن، سنة ١٩٠٤م.
٢٧- العمدة لابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٧٢م